BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

مراصد

كراسات علمية ٤٦

الثورة السورية

الخطاب والأيديولوجيا والأهداف

مراصد ٤٦

عدد إبريل ٢٠١٨

كراسات علمية محكمة تعنى برصد أهم الظواهر الاجتماعية الجديدة، خاصة في الاجتماع الديني العربي والإسلامي، تصدر عن وحدة الدراسات المستقبلية - برنامج الدراسات الاستراتيجية، بمكتبة الإسكندرية.

رئيس مجلس الإدارة
مصطفى الفقي

رئيس التحرير
خالد عزب

سكرتارية التحرير
أمنية الجميل

التدقيق اللغوي
نجية شريف

التصميم الجرافيكي
آمال عزت

الآراء الواردة في «مراصد» تُعَبِّر عن رأي الكاتب فقط، ولا تُعَبِّر عن رأي مكتبة الإسكندرية.

الثورة السورية
الخطاب والأيديولوجيا والأهداف

مكتبة الإسكندرية بيانات الفهرسة- أثناء - النشر (فان)

الثورة السورية : الخطاب و الأيديولوجيا و الأهداف. - الإسكندرية، مصر : مكتبة الإسكندرية، برنامج الدراسات الاستراتيجية، وحدة الدراسات المستقبلية، 2018.

صفحة ؛ سم. (مراصد ؛ 46)

يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية.

خطابات علماء السنة الدمشقيين خلال ثورة ٢٠١١ / تأليف جواد قريشي ؛ ترجمة أمنية الجميل -- إذا انهارت القلعة : أيديولوجية الثورة السورية و أهدافها / تحرير: مركز الدراسات الدينية والجيوسياسية بالمملكة المتحدة / ترجمة محمد عوض.

تدمك 978-977-452-474-8

١. سوريا -- تاريخ -- الثورات. ٢. سوريا -- أحوال سياسية ٣. سوريا -- تاريخ -- الحرب الأهلية، ٢٠١١- أ. مكتبة الإسكندرية. برنامج الدراسات الاستراتيجية. وحدة الدراسات المستقبلية. ب. العنوان ج. السلسلة.

ديوي - 303.64095691 2018 292233061

ISBN 978-977-452-474-8

رقم الإيداع: 2018/8201

© ٢٠١٨ مكتبة الإسكندرية.

الاستغلال التجاري

يحظر إنتاج نسخ متعددة من المواد الواردة في هذه الكراسة، كلها أو جزء منها، بغرض التوزيع أو الاستغلال التجاري، إلا بموجب إذن كتابي من مكتبة الإسكندرية. وللحصول على إذن لإعادة إنتاج المواد الواردة في هذه الكراسة، يُرجى الاتصال بمكتبة الإسكندرية، ص.ب. ١٣٨، الشاطبي ٢١٥٢٦، الإسكندرية، مصر.

البريد الإلكتروني: secretariat@bibalex.org

المحتويات

مقدمة ٧

الموضوع الأول: خطابات علماء السنة الدمشقيين خلال ثورة ٢٠١١

(تأليف جواد قريشي – ترجمة أمنية الجميل)

الربيع العربي والدين ١١

مارس ٢٠١١: بداية الثورة السورية ١٣

الرابع والعشرون من مارس: درس الشيخ سعيد رمضان البوطي ١٤

الخامس والعشرون من مارس: خطبة الشيخ أسامة الرفاعي ١٨

الخامس والعشرون من مارس: خطبة الشيخ يوسف القرضاوي ٢٥

مفتي الجمهورية، الشيخ أحمد حسون وسردية النظام ٢٨

الأول من إبريل: مظاهرات أكثر في دمشق، وخطبة الشيخ كُرِيِّم راجح ٣٠

عودة البوطي ٣٢

الثامن من إبريل: خطبة الشيخ محمد اليعقوبي ٣٤

مسألة الطائفية: الكلمات التأبينية للشيخ معاذ الخطيب ٣٦

انتشار التظاهرات في ضواحي/ ريف دمشق ٣٨

تطورات عام ٢٠١١ ٤٢

أفكار ختامية ٤٤

الموضوع الثاني: إذا انهارت القلعة: أيديولوجية الثورة السورية وأهدافها

(تحرير: مركز الدراسات الدينية والجيوسياسية بالمملكة المتحدة –
ترجمة: محمد عوض – مراجعة الترجمة: خلود سعيد)

ملخص إجرائي: الانتظار في الصف: جهاديو سوريا على استعداد لاستكمال ما بدأته داعش ٤٩

النتائج الرئيسية ٥٠

٦٠٪ من الجماعات المعارضة الرئيسية في سوريا هي جماعات إسلامية متطرفة ٥٠

ملف جماعة جيش الإسلام ٥٢

ما لم ينتهِ الأسد، ستستمر الحرب السورية وتنتشر على نطاقٍ أوسع ٥٥

لا يمكننا تقسيم المعارضة في سوريا إلى متطرفين ومعتدلين ٥٨

ملف جماعة خرسان ٦٠
التراخي العالمي يؤدي إلى ازدياد التطرف ٦٢
ملف جماعة أحرار الشام ٦٤
ملف جماعة جبهة النصرة ٦٤
إذا هزمنا داعش، تقف ١٥ جماعة في طابور الانتظار ٦٥
خاتمة ٦٩
ملحق ٧٠
المنهجية ٧١

مقدمة

بعد سبع سنوات من اندلاع الثورة السورية في فبراير ٢٠١١، يبدو أن الأزمة التي لحقت بسوريا نتيجة لاحتجاجاتٍ شعبية قامت مطالبة بعدد من الحقوق المدنية ليست في طريقها للحل - على الأقل، على المدى القريب.

فبالرغم من فقدان تنظيم داعش سيطرته على مدينة الرقة التي كان قد أعلنها عاصمة له في أكتوبر ٢٠١٧، فإن العمليات العسكرية بين الأطراف المتناحرة لا تزال قائمة في مناطق عدة في سوريا حتى يومنا هذا. عوضًا عن ما خلفته هذه العمليات من دمارٍ قد يحتاج للعديد من السنوات ومليارات الدولارات لإعادة الإعمار. فبحسب الشبكة السورية لحقوق الإنسان، قُدِّر عدد القتلى من المدنيين السوريين في عام ٢٠١٧ بـ ١٠,٢٠٤ قتيل، من بينهم ٢,٢٩٨ طفل و١,٥٣٦ سيدة. في حين تعدى عدد اللاجئين السوريين حول العالم خمسة ملايين ونصف مليون لاجئ وفقًا للأرقام الرسمية المسجلة بالمفوضية السامية للأمم المتحدة لشئون اللاجئين.

ويحاول هذا العدد من سلسلة كراسات مراصد أن يلامس الخيوط الرئيسية التي تشكلت بها الثورة السورية وأدت إلى ما نراه الآن من مآلات؛ من خلال دراستين مختلفتين في المنهجية، ولكنهم يصيغوا سويًّا صورة متماسكة عن القواعد التي يقوم على أساسها الاقتتال الحالي.

فالدراسة الأولى للدكتور جواد قريشي بعنوان «خطابات علماء السنة الدمشقيين خلال ثورة ٢٠١١»، تقدم سردًا خطيًّا لتعاطي خطباء المساجد وعلماء السنة الدمشقيين مع الأحداث اليومية في السنة الأولى من الثورة. ومن خلال هذه الدراسة يستطيع القارئ أن يتلمس المواقف المختلفة التي اتخذها هؤلاء العلماء من خلال إدراكهم وتطبيقهم لمفهومي الفتنة والنصيحة للحاكم في الإسلام. وتثير هذه الدراسة خاطرة هامة حول التفاوت بين مطالب المتظاهرين التي كانت في بدء الأمر تقوم على حقوق مدنية خالصة، وبين استخدامهم الأداتي للمساجد كأماكن للتجمع وانطلاق التظاهرات.

بينما تعنون الدراسة الثانية التي يضمها هذا العدد بـ «إذا انهارت القلعة: أيديولوجية الثورة السورية وأهدافها»، وهذه الدراسة صدرت أولاً باللغة الإنجليزية عن مركز الدراسات الدينية والجيوسياسية بالمملكة المتحدة في ديسمبر ٢٠١٥. تعتمد هذه الدراسة على منهجية كمية

تحلل ٩٠ جماعة فاعلة في الصراع السوري، وتحاول تفنيد تداخل الأيديولوجيات والأهداف لهذه الجماعات؛ تحسبًا لما يمكن أن ينتهي إليه الوضع في سوريا مستقبلاً.

تنتهي فترة الدراسة الأولى عام ٢٠١٢ والثانية عام ٢٠١٥. ولا يزال المشهد الراهن في سوريا يحكمه عددٌ هائلٌ من المصالح والحسابات المتشابكة والمتداخلة لأطراف الصراع سواء الداخلية أو الإقليمية أو الدولية. لذا فإن هذا العدد يُعَدُّ بمثابة ورقة توثيقية للانطلاقات الأولى للثورة ثم انقسام أصحابها لفرق وجماعات تتقاطع أهدافها وأيديولوجيتها، بينما تختلف غاياتها ومصالحها.

المحرر

خطابات علماء السنة الدمشقيين خلال ثورة ٢٠١١

تأليف

جواد قريشي

ترجمة

أمنية الجميل

خطابات علماء السنة الدمشقيين خلال ثورة ٢٠١١*

تأليف: جواد قريشي**

ترجمة: أمنية الجميل

الربيع العربي والدين

تعود الأحداث التي أشعلت الربيع العربي لديسمبر ٢٠١٠ في مدينة سيدي بوزيد التونسية، عندما أشعل محمد بوعزيزي – البائع الجائل – نفسه بعد أن تحرشت به قوات الشرطة المحلية؛ نتيجة لعدم قدرته على دفع الرشاوي لاستخراج تصريح البيع. اجتاح المحتجون والحشود تونس، وقادت حركتهم غير المتوقعة إلى الإطاحة بالرئيس التونسي زين العابدين بن علي في يناير ٢٠١١. بعدها بفترة قليلة، موجة من الاحتجاجات ضربت منطقة الشرق الأوسط، ونتج عنها تنحي كلٍّ من الرئيس المصري حسني مبارك والرئيس اليمني علي عبد الله صالح، وقُتِل القائد الليبي معمر القذافي. من ضمن الدول التي شهدت احتجاجات واسعة، قاوم نظامان فقط السقوط وصمدا في مواجهة التظاهرات؛ النظام الملكي البحريني للملك حمد الخليفة، وحزب البعث السوري تحت قيادة بشار الأسد. بعد عام من الاحتجاجات ووصولاً للعام ٢٠١٢ نجح ملك البحرين في تهدئة الانتفاضة، في حين لا يزال نظام البعث السوري متورطًا في قتال جماعات ذات جُرأة لا يبدو عليها الجاهزية للاستسلام.

(*) تم نشر هذه الدراسة لأول مرة في سلسلة دراسات سورية الصادرة عن جامعة سانت اندروز – سكوتلندا، عام ٢٠١٢. والنص الأصلي متاح على الرابط التالي باللغة الإنجليزية: https://ojs.st-andrews.ac.uk/index.php/syria/article/view/1459/1104

(**) أستاذ مساعد اللغة العربية والدراسات الإسلامية. الكلية الإسلامية الأمريكية – شيكاغو، الولايات المتحدة الأمريكية.

خلال العام الأول من الثورة، أبدى العديد من الملاحظين اهتمامًا متواترًا بالدور الذي يؤدِّيه الدين والفاعلون الدينيون. ففي بداية الربيع العربي، فطن المحللون لملاحظة أن الثورتين التونسية والمصرية لم يَقُدْها الإسلاميون، بالإضافة إلى الغياب العام للدين والأيديولوجية في شعارات المتظاهرين. في مصر، الغياب الجلي لقيادة الأزهر للمسيرات استعيض عنه بصور رجال الأزهر – المعروفين بعمامتهم البيضاء وطربوشهم الأحمر – جنبًا إلى جنب مع المتظاهرين بمن فيهم أيضًا من الأقباط المسيحيين للتأكيد القوي على أن المخاوف الطائفية والهوية السياسية يمكن وضعها جانبًا للتعامل مع المشاكل الأكثر جوهرية التي خلقها نظام مبارك الذي استمر طيلة ثلاثين عامًا. حتى الشيخ يوسف القرضاوي – العالم الديني المصري الشهير، والمقيم بقطر – في خطبة جمعة الثامن عشر من فبراير ٢٠١١ بميدان التحرير قام مهنئًا الثوار المصريين لما أبدوه من وحدة وطنية بين صفوف المنتمين سواء للمسيحية أو الإسلام. بعد الثورات، دائمًا ما يظل «الدين» موضع اهتمام. فبينما ينحاز القليلون للأنظمة الثيوقراطية كالنموذج الإيراني «ولاية الفقيه»، ينصب الاهتمام المركزي للملاحظين على دور الدين في تشكيل السياسات وسن القوانين. وفي ذلك فإن «النموذج التركي» للإسلاميين له النصيب الأكبر من الرواج، في حين دائمًا ما يلوح في الأفق المخاوف المتنامية من «السلفية». بحلول عام ٢٠١٢، أصبح هناك ما يعضد هذا الاهتمام، خاصة بعد فوز حزب النهضة الإسلامي في الانتخابات التونسية، الأداء القوي لحزب النور السلفي وحزب الحرية والعدالة للإخوان المسلمين في الانتخابات المصرية، إلى جانب الشخصية الدينية للعديد من المحاربين الثوريين في ليبيا. في سوريا، انقضى عام ٢٠١٢ ما بين احتجاجات يقابلها حملات أمنية من الحكومة السورية. في حين أدَّى رجال الدين ومؤسساتهم دورًا محوريًّا في تشكيل جانبي الاحتجاجات منذ بدئها. في نظام سلطوي كالنظام السوري؛ حيث تمنع التجمعات السياسية، صلاة الجمعة هي المناسبة الوحيدة التي يسمح فيها قانونًا بالتجمع. كان لذلك عاقبتان:

أولاهما: إنه في مجتمع مراقب دينيًّا كالمجتمع السوري، وفرص العلماء للتواصل مع التجمعات الكبرى للعامة لا تتسم بالإنصاف كما حال الفاعلين الآخرين بالمجتمع.

ثانيتهما: شكلت المساجد مواقع رئيسية لانطلاق التظاهرات، وأيضًا كأهداف للحملات الأمنية الحكومية. لذا؛ مثلت كل صلاة جمعة فرصة للعلماء للتطرق للأحداث. أيضًا، مع تزايد أعداد الشهداء من المتظاهرين في اشتباكهم مع الحملات الأمنية، صلوات الجنازة المقامة بالمساجد

أعادت رسم دور المسجد كموقع للمعارضة. المواكب الجنائزية لحمل نعوش موتى يوم الجمعة للمقابر غالبًا ما تحولت لتظاهرات قوبلت بقمع من الحكومة. في هذا الإطار، وفي بداية الثورة السورية، مثلت المساجد مواقع هامة للمقاومة والعنف معًا.

تقدم هذه الورقة سردًا لما حدث في دمشق منذ اندلاع التظاهرات في الأسبوع الأخير من مارس إلى مايو ٢٠١١، مع التركيز على تدخل علماء السنة في الشأن عام بتطور الأحداث[١]. عبر هذا السرد، أعير اهتمامي للكيفية التي تموضع بها العلماء (بأنفسهم) ما بين الحكومة والمتظاهرين، مركزًا على المنطق المتبني وراء تلك المواقف. بدلاً من تصنيف مواقف العلماء تحت أطر عامة، اخترت أن أعرض الأحداث بشكل سردي خطي لنقل حس التطور والتصعيد في الأحداث. المواد المحللة تحتوي على خطب، دروس عامة، والكلمات التأبينية خلال العزاء، بالإضافة إلى الظهور في القنوات التليفزيونية للدولة[٢]. أركز في هذه الورقة على دمشق – بالإضافة إلى كونها مركز القوة، فإنه من الصعب جمع المعلومات والتأكد من صحتها حول بعض المدن والقرى التي أثرت فيها التظاهرات والحملات الأمنية بقوة كدرعا، اللاذقية، دوما، بنياس، جسر شغور، حماة، وحمص. أيضًا، كان الكاتب في دمشق بين مارس وإبريل ٢٠١١ وشهد عددًا من الفعاليات التي سنذكرها فيما يأتي. بعض الأحداث التي لم يشهدها الكاتب مباشرة، تم التحقق من دقتها بعد حدوثها بفترة قصيرة من خلال مقابلات شهود العيان.

مارس ٢٠١١: بداية الثورة السورية

بينما كانت رقعة الاحتجاجات تتسع في العالم العربي في يناير وفبراير ٢٠١١. وقعت سلسلة من الأحداث المنفصلة في سوريا مثلت محاولات غير ناجحة لإشعال فتيل الثورة. تضمنت هذه الأحداث تضحية فرد بنفسه في الحسكة على خطى البوعزيزي. «يوم الغضب» في دمشق في الرابع والخامس من فبراير ٢٠١١. مظاهرة في سوق الحريقة في دمشق في السابع عشر من فبراير ٢٠١١، بعد أن قام شرطي بضرب ابن مالك أحد محلات البيع. مظاهرات في ساحة المرجة بدمشق

(١) لصورة أوسع للمواقف المتنوعة التي تبناها الفاعلون الدينيون داخل وخارج سوريا، انظر:
Thomas Pierret, "Syrie : l'Islam dans la révolution", *Politique étrangère* 76, no. 4 (Winter 2011): 879-891.

(٢) العديد من الخطب والدروس العامة التي حللتها سجلت وأتيحت على مواقع التواصل الاجتماعي، بالإضافة إلى بعض المواقع المدارة بواسطة أتباع بعض العلماء محل البحث. كل روابط المواقع المشار إليها سيتم عرضها في مواقعها خلال الورقة.

في السادس عشر من مارس ومسيرة ضد القذافي أمام مبنى السفارة الليبية في دمشق في الثاني والعشرين من مارس (حيث تم القبض على أكثر من مائة متظاهر). كل هذه الأحداث تم احتواؤها سريعًا نسبيًّا وفشلت في إلهام الجماهير بثورة سورية.

في السادس من مارس ٢٠١١ في مدينة درعا الجنوبية تم القبض على خمسة عشر صبيًّا ما بين العاشرة والخامسة عشرة لكتابتهم جرافيتي مناوئ للنظام على جدران المدرسة، بما فيه شعار الربيع العربي «الشعب يريد إسقاط النظام». طالب أهالي الصبية السلطات المحلية بإطلاق سراحهم بلا طائل. في الثامن عشر من مارس، الآلاف من المتظاهرين خرجوا في مسيرة من الجامع العمري بعد صلاة الجمعة مطالبين بإطلاق سراح الصبية، والحصول على حريات سياسية أكبر. قابلت الحكومة المتظاهرين بقوات مكافحة الشغب، مدافع المياه، الغاز المسيل للدموع. وأخيرًا، الذخيرة الحية. في ذلك اليوم، قُتِل أربعة وجُرِح العشرات من المتظاهرين. في باقي أنحاء سوريا، انطلقت تظاهرات صغيرة بعد صلاة الجمعة بما فيها الجامع الأموي في دمشق. في الفترة من التاسع عشر إلى الرابع والعشرين من مارس زادت حدة كلٍّ من الاحتجاجات والحملات الأمنية في درعا بشكل متناسب. حلقة من العنف بدأت في التشكل مع تزايد أعداد المتظاهرين وما قابلها من حملات أمنية ومواجهات أدت إلى تزايد أعداد القتلى والجنائز التي صارت تظاهرات قابلتها الحكومة بالعنف، وهلم جرًّا. انتشرت أخبار درعا في كلِّ سوريا عبر القنوات التليفزيونية خاصة الجزيرة، وبي بي سي العربية. على مدار الساعة أذاعت هذه القنوات مباشرة صورًا حية التقطت بكاميرات الهواتف النقالة مصحوبة بتعليقات محللين ممن لا زالوا مبتهجين بما حدث في تونس ومصر. ومن هنا، بدأت الثورة السورية.

الرابع والعشرون من مارس: درس الشيخ سعيد رمضان البوطي

في مساء الخميس الرابع والعشرين من مارس ٢٠١١، ذهب الشيخ سعيد رمضان البوطي[٣] إلى مسجد الإيمان الذي يقع بمنطقة المزرعة بدمشق لإلقاء درسه الأسبوعي. كانت القاعة

(٣) للمزيد عن البوطي، انظر:
Andreas Christmann, "Islamic Scholar and Religious Leader: A Portrait of Sheikh Muhammad Said Ramadan al-Buti", in *Islam and Modernity: Muslim Intellectuals Respond* (London: B. I. Tauris, 1998): 57-81; Jawad Anwar Qureshi, *Islamic Tradition in the Age of Revival and Reform: Said Ramadan al-Bouti and His Interlocutors* (PhD diss., University of Chicago, 2019).

الرئيسية للمسجد شبه ممتلئة، وأذيع درسه في إحدى القنوات التليفزيونية، وأيضًا نشر على موقعه على شبكة الإنترنت. وبذلك فقد تابعه عدد أكبر من المئات المتواجدين بساحة الدرس بالمسجد. في هذا المساء، لم يلتزم البوطي بجدول الموضوعات المعد مسبقًا لدروسه، من أجل التطرق لما يدور في أذهان الناس بشدة في الأسابيع الفائتة. قائلاً: «ربما من الجيد – ونحسب أنه من الواجب – أن أقول شيئًا عن الفتنة التي أطلت برأسها علينا»(٤).

البوطي (ولد عام ١٩٢٩)، أستاذ فخري وعميد سابق لكلية الشريعة بجامعة دمشق، وهو من أكثر علماء الدين أهمية بسوريا. تكونت بينه وبين حافظ الأسد علاقة شخصية في سبعينيات القرن الماضي. عندما قرأ الأسد واحدًا من كتب البوطي (نقض أوهام المادية الجدلية – الديالكتيكية)؛ مما قاد إلى سلسلة من الاجتماعات الخاصة على فترات متقطعة بين الرجلين على مدار العقدين التاليين. في الثمانينيات، وبعد أن أخمد نظام الأسد انتفاضة حماة بالعنف. تعرضت الممارسات الدينية في المجال العام لقمع حاد، وواجه أعضاء جماعة الإخوان المسلمين عقوبات تصل للإعدام. في ذلك الحين استطاع البوطي أن يستخدم علاقته الشخصية بالأسد لإطلاق سراح الآلاف من المعتقلين، بالإضافة إلى فتح المجال العام للممارسات الدينية مرة أخرى في التسعينيات. بمرور الوقت، أصبح رابط البوطي بالنظام أكثر متانة، وذلك بغض النظر عن حقيقة أن البوطي لم يتقلد أيَّ منصبٍ رسميّ في الجهاز الديني التابع للدولة. مرتبة البوطي كعالم ذي مقام رفيع، ونفوذه بداخل الحكومة قاد إلى علاقة برجماتية بين البوطي ونظام الأسد. وبالرغم من ذلك، فإن العديد من معارضيه بما فيهم بعض العلماء رأوا أن هذه العلاقة تعكس سذاجة البوطي السياسية وتعاونه مع الدولة(٥).

هذا المساء، غطت خطبته أربع نقاط، والتي حذت حذو رواية الحكومة للتظاهرات، وهي: **النقطة الأولى** تناولت السبب الظاهري المؤدي لاندلاع الثورات في الشرق الأوسط، وهو (مطلب الإصلاح). والمراد بالإصلاح هنا يعود على تغيير القوانين التي تقيد حريات الشعوب، وأيضًا الفساد الناتج عن هذه القوانين القمعية. أقر البوطي بأن الإصلاح واجب ديني واجتماعي.

(٤) وضع هذا الدرس على الموقع الذي يحوي تسجيلات دروس البوطي، انظر: **نسيم الشام**، http://www.naseemalsham.com ولكنه لاحقًا عدل ليحتوي فقط على العشر دقائق الأخيرة من خطبته. حضر الكاتب هذا الدرس واعتمد في هذا المقال على تسجيله الشخصي.

(٥) Thomas Pierret, *Baas et Islam en Syrie* (Paris: Presses universitaires de France, 2011): 99-105.

ولكنه أثار سؤالاً: ما وسائل تحقيق الإصلاح؟ بالنسبة للبوطي الإصلاح يتطلب طرفين: طرف من هم في السلطة، وطرف من ينزلون للشارع. وجادل بأن الطريق إلى الإصلاح يتكون من (التقاء) الطرفين، (التشاور)، (المذاكرة)، (التعاون)، (الاتفاق)، ثم (الانطلاق) في جدول زمني. وفي خطابه أكد على أن الإصلاح لا يمكن أن يقوم على طرف واحد فقط ولا يمكن إتمامه عن طريق استيلاء فصيل على شارع أو ساحة، حاملاً لافتات ومردداً شعارات. (الثورة) على حد قوله يمكنها التدمير في غضون ساعات. فلا يمكن إتمام البناء إلا من خلال المراحل التي ذكرها سابقًا[٦].

النقطة الثانية التي تناولها البوطي، كانت حول البرنامج الإصلاحي الذي بدأ – ظاهريًّا – بالفعل في سوريا. ادعى البوطي في كلمته أن هذا البرنامج كان ليستتبع إصلاحًا جذريًّا، وهي نتيجة الخطوات المرسومة. وقصد بذلك المشروع الذي بادر به الرئيس السوري بشار الأسد؛ حيث دُعي الأخير إلى اجتماع (لم يصرح البوطي بموعد انعقاد هذا الاجتماع) مع عدد من العلماء والمثقفين السوريين لسماع احتياجات الدولة والنقائص التي يجب أن يعالجها من هم في موضع سلطة. وفقًا للبوطي، في هذا الاجتماع، «كل ما يمكن أن يتبادر لأذهان من يرفعون اللافتات تم التطرق إليه ومناقشته»[٧]. تبع ذلك تعهدات بتحقيق الاقتراحات المقدمة، ثم صرح بأنه في المستقبل القريب سوف تعلن قرارات الإصلاح الجذري التي انتظرها الشعب، وباتت سوريا في أَمَسِّ الحاجة إليها.

النقطة الثالثة دارت حول أصل الاحتجاجات في درعا. وهنا، كرر البوطي الرواية الحكومية حول الأحداث، قائلاً بأن هذه الاحتجاجات لا تعكس حقيقة اهتمامات المواطنين المحليين، وأن أصلها يأتي من خارج سوريا. ومن خلال كلمته فَرَّقَ بين الموقف في سوريا وما حدث في مصر، مشيرًا إلى أن التظاهرات في مصر تم تنظيمها داخليًّا، بواسطة أفراد معروفين كليًّا لدى أفراد الشعب. وهو الوضع الذي لا يمكن أن ينطبق على سوريا على حد قوله. ثم أوضح قائلاً أن دعوات التظاهر تم استلامها من مصادر إلكترونية مجهولة – كوصفةٍ مُعَدَّة سلفًا – تفصل أيام التظاهرات، ما يطلق من أسماء على هذه الأيام (يوم الغضب، يوم الشرف، وما إلى ذلك)، الهتافات

(٦) تسجيل شخصي للدرس.
(٧) المرجع السابق.

المستخدمة، الشعارات التي تكتب على اللافتات، وغيرها من الأمور. ثم ذكر البوطي أنه تلقى بنفسه عددًا من الالتماسات لتحويل صلاة الجمعة كفرصة لتنظيم الاحتجاجات، وأنه حاول تحديد مصدر الرسائل ولكن مجهوداته ذهبت هباء. وكان ذلك سببًا كافيًا – وفقًا للبوطي – لوقفة انتباه. والسؤال الذي استرعاه كان: مع اعتبار مجهولية المصدر، وطبيعة الرسائل ذات الوصفات المعدة. كيف يمكن للمرء أن يتصرف في مثل هذا الموقف؟ وفقًا للبوطي، تتحدث الآية القرآنية «وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ»[٨] عن الموقف الحالي. وقد فهم البوطي من الآية:
«لا تتبع من يأخذك من يدك إلى حيث لا تعلم، لا تتبع أحدًا لا تعرف من هو، لا تضع يدك في يد شخص لا تعرفه. ولا تضع يدك في يد شخص تعرفه؛ ولكن لا تعرف نهاية ما يأخذك إليه»[٩].

مع مجهولية مصدر الدعوات، بدا عدد من الاحتمالات منطقيًّا لدى البوطي، عاكسًا ثقافة تضفي مصداقية على كل أنماط نظريات المؤامرة. فتساءل البوطي قائلاً: أليس من المحتمل أن تكون هناك أيادٍ إسرائيلية صهيونية تحرك الأمور؟ أليس هناك احتمالية ترجح أن أعداء سوريا خلف ذلك؟ ألا يمكن تصور أن الجناح الأيمن الأمريكي خلف تلك الاحتجاجات؟ وبالمثل، أليس من المحتمل أنهم يستخدمون دعاوي (الإصلاح)، و(الحقوق) لإشعال نار الفتنة الطائفية في سوريا؟ (وهنا أغفل بوضوح احتمالية أن الاحتجاجات قامت على أساس مظالم مشروعة سياسية واقتصادية واجتماعية طويلة المدى للشعب السوري). لذا، بناء على تفسير الآية القرآنية ومجهولية مصادر الدعوات، وعي البوطي أخبره بعدم جواز الطاعة العمياء لمثل تلك الدعوات.

ثم استطرد واصفًا الموقف الحادث في يوم جمعة الثامن عشر من مارس، حينما حاول جماعة من الأفراد البدء في تظاهرة بعد الصلاة في الجامع الأموي. فعلى عهد البوطي، انتهى الحال في المسجد بعد الصلاة بشكل طبيعي. ولكن، جماعة من الأفراد خارج المسجد – لم يكونوا ضمن جموع المصلين – انتظروا خارجًا انتهاء الصلاة؛ ثم بدأوا مرددين شعارات مناوئة للحكومة. ومن ثم سعت جموع المصلين الخارجة من المسجد في ابتلاع المتظاهرين بينهم مرددين ابتهالات دينية. وهنا وصفهم البوطي بأن «جباههم لا تعرف السجود، وأجسادهم لا تعرف الركوع»،

(٨) «سورة الإسراء: آية ٣٦».
(٩) تسجيل شخصي للدرس.

مشيرًا إلى عدم اكتراثهم بالدين واستخدامهم الأداتي للمسجد. وهو الأمر الذي أوحى للبوطي أن هؤلاء الأفراد من ذوي النوايا المريضة، يفتقدون لأيِّ اكتراثٍ بالتعاليم الدينية[١٠].

بالنسبة للبوطي، مفاد ذلك كله، وسبب كلمته تلك الليلة أن تلك الوسيلة للإصلاح (الاحتجاجات الشعبية) لا تقود إلا للعنف والدمار، والطريقة الوحيدة لبلوغ الإصلاحات المرجوة من خلال الدخول مع الحكومة في حوار. وبذلك فإن سوريا في حاجة لتطبيق القاعدة الفقهية «درء المفاسد مقدم على جلب المصالح». معللاً بأن المنطق الإسلامي لا يمكن أن يوصي بالتظاهرات، وذلك لأن احتمال وقوع المفاسد من المظاهرات أكثر من أيِّ فضل محتمل منها.

النقطة الرابعة من درسه في تلك الليلة، كانت نداءً قلبيًّا لأفراد الشعب بالتوجه إلى الله بالتضرع خلال فترة المحنة لينير لهم طريقهم. أعاد البوطي تلك الأربع نقاط في لقاء تليفزيوني على التليفزيون الوطني السوري، والذي أقنع معارضي التظاهرات فقط. سافر البوطي في الصباح التالي إلى الإمارات ثم إلى بوروني للمشاركة في مؤتمر للأسبوعين التاليين.

الخامس والعشرون من مارس: خطبة الشيخ أسامة الرفاعي

بعد درس البوطي بيوم، في الخامس والعشرين من مارس، التوترات التي اختمرت بطيئًا في أنحاء سوريا بدأ غليانها يصل إلى دمشق. اليوم السابق شهد أعنف حملة أمنية في درعا منذ بدء التظاهرات، وجماعات حقوق الإنسان سجلت مقتل أكثر من مائة شخص[١١]. في هذه الجمعة، الشيخ أسامة الرفاعي – واحد من أكثر علماء دمشق تأثيرًا – وضع موضوع خطبته (مطالب المتظاهرين). الرفاعي هو الابن الأكبر للشيخ عبد الكريم الرفاعي (المتوفى عام ١٩٧٣). عالم دمشقي أنشأ شبكة من الجمعيات الخيرية، تقع بجامع زيد بن ثابت الأنصاري بحي باب سريجة. بالإضافة إلى أعماله الخيرية، فإن الشيخ عبد الكريم كان علامة بارزةً في إعادة إحياء المعرفة الدينية في منتصف القرن المنصرم[١٢]. عاش ابناه أسامة وسارية في المملكة العربية السعودية منذ

(١٠) الجدير بالذكر هنا أن شهود عيان ممن تحدث معهم الكاتب خالفوا رواية البوطي للأحداث. بعض الفيديوهات عرضت على موقع اليوتيوب تؤكد رواية شهود العيان.

(١١) "*We've Never Seen Such Horror: Crimes Against Humanity by Syrian Security Forces*" (New York: Human Rights Watch, 2011): 20-21.

(١٢) محمد مطيع الحافظ، ونزار أباظة، **تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري**، مج. ٢ (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٦): ٩٠٥-٩٠٦.

الثمانينيات في الفترة التي جمد فيها عمل الجمعيات الخيرية لوالدهم. برجوعهم لسوريا في منتصف التسعينيات، أعيدت الحياة مرة أخرى والنشاط لتلك الشبكة من الجمعيات الخيرية وأصبحت من المؤسسات الدينية الهامة. اعتمادًا على المسجد السابق لوالدهم ومسجد عبد الكريم الرفاعي (المسمى بعد وفاته) في كفر سوسة، استأنف الأخان منهج والدهم في التواصل؛ حيث رَكَّزَا على الأعمال الخيرية والتعليم الديني. كما أوضح توماس بيريه Thomas Pierret وكاجتيل سلفيك Kjetil Selvik[١٣]. حافظت (جمعية زايد) على علاقة غامضة بالنظام. من جهة، أعمالهم الخيرية تعالج مشاكل متعلقة بالفقر لا يستطيع النظام حلها، وهو ما جعلها مُرَحَّبًا بها من قبل الدولة. ومن علامات ذلك التوافق مقابلة الرئيس الأسد للشيخ أسامة الرفاعي، وحصول الجمعية على امتيازات متعددة من الدولة مثل: التصريح بجمع التبرعات، التحكم في المساجد، وما إلى ذلك.

بالرغم من ذلك، استطاعت أن تحافظ الجمعية على استقلاليتها بنجاح، وقاومت أن تكون اللسان المتحدث باسم النظام. واستمدت الجمعية قدرتها تلك من القاعدة الاجتماعية لتجار الطبقة المتوسطة التي مكنتها من الاستقلال المالي، والتشديد على البقاء بعيدًا عن أموال الدولة وتدخلها من أفكار والدهم ومن المكونات الهامة لصورة الجمعية. كما وضح استقلالهم الأيديولوجي في خطبهم ودروسهم؛ من حيث انتقدوا بانفتاحية عناصر الدولة التي ارتأوا أنها تتناقض مع قيم الإسلام[١٤]. وخطبة الرفاعي في تلك الجمعة عكست استقلاليته.

بعد أن افتتح خطبته بمناقشة قصيرة حول نعمة الأمن، وواجب المحافظة على الأمان، قال: «إن ما نراه في بلدنا هذا مما حدث منذ أسبوعٍ أو أكثر أو أقل، وإلى يومنا هذا في درعا وفي أماكن أخرى. كل ذلك يحملنا على النظر في وجوب النصيحة التي أمرنا بها رسول الله». النصيحة في الخطاب الإسلامي مستمدة من الحديث القائل بأن الدين يتكون من النصيحة لحكام المسلمين كما لعوام المسلمين[١٥]. تُعدُّ النصيحة شكلًا أخلاقيًّا تصحيحيًّا لأمر منتقد، حين يشعر الناصح

(١٣) Thomas Pierret and Kjetil Selvik, "Limits of Authoritarian Upgrading in Syria: Private Welfare, Islamic Charities, and the Rise of the Zayd Movement", *International Journal of Middle East Studies (IJMES)* 41, no. 4 (2009): 595-614.

(١٤) المرجع السابق.

(١٥) نص الحديث بالكامل: أَخْبَرَنِي أَنَسٌ، أنبأ اللَّيْثُ، عَنْ يُحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ السَّمَّانِ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: الدِّينُ النَّصِيحَةُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قال: للهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ.

بضرورة معالجة ذلك الأمر بالتحديد. عندما يتوجه بالنصيحة عالم ديني لشخصية أو جهة ذات سيادة، لا يُعدُّ ذلك عملاً ثوريًّا أو عصيانًا (خراج)، بل فعلاً أخلاقيًّا ونقدًا تصحيحيًّا. وفي دراسته للنصيحة المقدمة للملك فهد من العلماء السعوديين خلال فترة حرب الخليج، أوضح العالم الأنثروبولوجي طلال أسد أن نقدهم لم يقدم بديلاً سياسيًّا أو هجومًا على الحكومة، ولكن أخذ موقف النقد الأخلاقي[١٦]. نقد الحاكم في هذا الإطار لا يجب خلطه بالعصيان المدني وتحديدًا (الخراج). وهو الأمر المنكر كليًّا ويُعدُّ (فتنة). لذا، فإن خطبة الرفاعي يجب أن لا ترى كفعلٍ معادٍ للنظام، أو يتم الخلط بينها وبين الثورات المصرية والتونسية، والتي نادت بتغيير صريح للنظام. (الشعب يريد إسقاط النظام). بدلاً من ذلك، يمكن رؤية خطبته في إطار الشهادة الأخلاقية للنظام عن أحداث درعا.

بنبرة هادئة وتأملية، وَجَّه الرفاعي حديثه إلى رئيس الجمهورية وجميع الإخوة المسئولين، ثم فصل مطالب المتظاهرين. الموضوع المفصلي الذي تمحورت حوله باقي الأمور؛ كان فكرة الحرية. الحرية – كما جادل الرفاعي – مكون جوهري لإنسانية الفرد، وبها تتميز البشرية عن المخلوقات الأخرى. سلب الحريات من الأفراد – كليًّا كان أو جزئيًّا – هو فقدان الفرد لجزء من إنسانيته. ومن ثم استشهد بمقولة خليفة المسلمين الثاني عمر بن الخطاب معنفًا أحد مسئوليه عندما أساء المعاملة مع قبطي مسيحي قائلاً: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟». الرابط مع الحالة السورية جلي. جردت الدولة الشعب من حرياته، وبذلك عمليًّا أطاحت به لموضع العبيد وحرمته جزءًا من إنسانيته. تاريخ حرمان السوريين من حقوقهم يرجع لعام ١٩٦٣ عندما طبق قانون الطوارئ. والذي عظم من الهيكل السلطوي لحكومة البعث، «قانون الطوارئ – كما قال الرفاعي – قَيَّد كل الحريات التي ينبغي أن يحصل عليها كل شعب غير مستعمر». وبذلك يجب إلغاء قانون الطوارئ لاستعادة الحريات الإنسانية الأصلية، وإنسانية المتظاهرين. قدم الرفاعي مثالاً على

(١٦) Talal Asad, "The Limits of Religious Criticism in the Middle East: Notes on Islamic Public Argument", in *Genealogies of Religion: Discipline and Reasons of Power in Christianity and Islam* (Baltimore, MD: Johns Hopkins University Press, 1993): 200-238; Compare with: Malika Zeghal, "The Nasiha of the Moroccan Sufi Shaykh Abdessalam Yassine to King Hassan II", in *Islamism in Morocco: Religion, Authoritarianism, and Electoral Politics*, translated by George Holoch (Princeton: Markus Weiner Publications, 2008): 95-118.

النصيحة عند ياسين أكثر تعقيدًا من مثيلتها عند الرفاعي أو ما جاء في كتاب أسد عن نصيحة علماء السعودية، من حيث ما لها من طابع تحذيري لا يقدس رأس السلطة، وبذلك فهي أكثر مواجهةً وتدميرًا.

مدى قمع قانون الطوارئ للحريات بالإشارة إلى العدد الذي لا يحصى للمسجونين السياسيين ومسجوني الرأي بالسجون السورية الذين لا تتعدى جريمتهم كونهم مخالفين للحكومة في الرأي.

حَوَّل الرفاعي مجرى حديثه للأمور الدينية، مؤكدًا على أنه كان يتحدث من منبر الواعظ؛ إلا أنه يفضل ترك مثل تلك الأمور لأصحاب الاختصاص للخوض بها. كمثال على الحريات المتعلقة بتقيد الدين، أشار الرفاعي إلى تزايد العلمانية في المجال العام وتطفلها على الحريات الشخصية. وفي هذا الإطار أشار خاصة لحظر وزارة التعليم عام ٢٠١٠ المدرسات في المدارس العامة وطالبات الجامعات من ارتداء النقاب. ونتج عن ذلك الحظر نقل أكثر من ألف مدرسة من وظائفهن. ومن ثم صرح وزير التعليم آنذاك «علي سعد» في حديثه لأحد الجرائد بأن مثل هذه القرارات تسعى للحفاظ على الهوية العلمانية ومحاربة الأصولية، وسوف يتبع ذلك عدد من القرارات من نفس ذات التوجه(١٧). مشكلة الرفاعي لم تكن مع العلمانية في حد ذاتها، فقد كان مستوعبًا لفكرة أن الدولة لا تتبنى أو تُروِّج لدين بعينه. ولكن مشكلته كانت مع أن الدولة تتعدى حدودها وتعيق الحريات الشخصية، وتقيد الاختيارات الفردية. مثل هذه الأفعال – على حد قول الرفاعي – تثير ذكريات التاسع والعشرين من سبتمبر عام ١٩٨١ عندما نزع ومزق حجاب النساء في شوارع دمشق. وفيما يخص ذلك الأمر، أعطت وزارة التعليم توجيهات شفهية بمنع أي مظاهر دينية في المدارس، بالإضافة إلى وقف أي شكل من أشكال الأنشطة الدينية مثل: «تلاوة وتعلم آيات القرآن في العربات من وإلى المدرسة، حفظ الأحاديث، القيام بأداء الصلوات بالمدرسة، وما إلى ذلك». هذه القرارات اتسمت بالحسم؛ من حيث تم إرسال مفتشات إلى المدارس للتأكيد من تطبيقهم. بالإضافة إلى قمع الحرية الدينية، تم فرض ثقافة الجواسيس والمخبرين، والتي جعلت السوريين لعقود في حالة دائمة من التشكك وعدم الثقة. هذه التوجيهات صدرت شفهيًّا – كما ادَّعى الرفاعي – للفرار من المواجهة وإنكار وزارة التعليم – مثل هذه التوجهات لعدم وجود ورق يثبت ذلك.

(١٧) وزير التربية يصدر قرارًا بنقل المنقبات من حقل التعليم حفاظًا على «العلمانية»، انظر: «وزير التربية يصدر قرارًا بنقل المنقبات من حقل التعليم حفاظًا على «العلمانية»،
France 24, http://www.france24.com/ar/20100701-religious-laic-interdiction-niqab-syrie-education

مثال آخر على العلمانية المتطرفة التي مارسها محافظ دمشق (بشر الصبان). قام الصبان بتطهير الهيكل الإداري أسفل منه من العشرات من الموظفين؛ نظرًا لممارساتهم الدينية العلنية. والأكثر من ذلك، غير الصبان عشر حدائق (من مجموع ١٢٥ حديقة) من كونهم مخصصين فقط للنساء، ليتيح بهم دخول الرجال أيضًا. وعلق الرفاعي على أنه بعد الجلوس في اجتماعات مطولة مع المحافظ ونوابه، لم يرد الأخير الاعتراف بطلبات الحدائق المنفصلة كحق شرعي للمواطنين (على سبيل المثال قاطني الأحياء الذين طالبوا بإنشاء هذه الحدائق في مبتدأ الأمر). وما ضاعف الإحباط المعاملة الرافضة والحادة وغير اللائقة التي تلقوها من الصبان ومكتبه.

بينما الأمثلة المشار إليها بالتحديد، يمكن لحاضري الخطبة ألا يكونوا عاينوها بأنفسهم. فقد روى الرفاعي قصة يعرفها الجميع بشكل مباشر، حول بيروقراطية الدولة القمعية والتطفلية، والتي تنتقص من حريات الأفراد والجماعات.

أخيرًا، أشار الرفاعي إلى الفساد المتجذر في كل مستويات الهيكل الإداري للدولة، وكيف أن القوانين القمعية تطبق فقط على الفقراء، بينما الأغنياء قادرون بالرشوة أن يجدوا مخرجًا لمشاكلهم القانونية. ثم اختتم خطبته قائلاً:

«إذا أراد الإخوة المسئولون، وعلى رأسهم السيد الرئيس. إذا أرادوا التهدئة بدرعا وبغير درعا من القطر كله من أوله إلى آخره. فمفتاح التهدئة بيد السيد الرئيس والمسئولين جميعًا. المفتاح بأيديهم، وهو تغيير هذه الأمور التي ذكرتها»[١٨].

أنهى الرفاعي خطبته شاكرًا الرئيس الأسد على إخلاء سبيل عدد من المساجين السياسيين، بالإضافة إلى زيادة مرتبات الموظفين الحكوميين. ولكنه لم يغفل تكرار النقاط المشار إليها سابقًا.

على الفور بعد انتهاء الصلاة، بدأ المئات من جموع المصلين الهتاف داعمين سكان درعا، ومرددين ما أصبح الشعار الأشهر للمتظاهرين السوريين (الله، سوريا، الحرية، وبس). الأمن حول المسجد كان قد ازداد منذ فبراير. وبمجرد وصول جموع المصلين المتظاهرين لحدود قوات الأمن،

(١٨) الجزء الأخير من الخطبة متاح على الرابط التالي، انظر: «خطبة الشيخ أسامة الرفاعي الدين النصيحة الجزء ٤»، *YouTube,* https://www.youtube.com/watch?v=BWrP3Wm8RpI

قامت قوات الأمن في البداية بإغلاق أبواب المسجد لمنع جموع المصلين في المسجد من المشاركة في التظاهرة، ثم بدأت في ضرب الجموع المحتشدة بالخارج بالعصي والصواعق الكهربائية ثم تقيدهم وإلقائهم بالعربات.

وفقًا لشهود، خرج الرفاعي من المسجد محاطًا بعدد من المصلين. وعندما وصل في مواجهة رجال الأمن أمرهم بالتوقف عن العنف وترك الحشود للتظاهر سلميًّا. وأقرَّ الشهود بأن قوات الأمن توقفت لبرهة حتى غادر الرفاعي، ثم بدأوا حملتهم الأمنية من جديد.

تناقضت خطبة الرفاعي في عدد من الملامح مع درس البوطي. لم تعالج خطبة الرفاعي فقط واقع جموع المصلين في مسجده، ولكن الأهم أنها وجهت للحكومة، الرئيس الأسد، وكل من هم في موضع المسئولية. وبمخاطبة الحكومة، وضع الرفاعي نفسه في مسافة بعيدة عن الموالاة، ولكنه لم يفعل ذلك بتبني موقف المعارض. بدلاً من ذلك، لعب الرفاعي دور الوسيط بين الحكومة والمتظاهرين. وبذلك كان قادرًا على إعطاء صوت للمتظاهرين، تفصيل عدد من مطالبهم، بينما استطاع بنجاح أن يتجنب تنصيب نفسه كقائد أيديولوجي للمتظاهرين. أيضًا، خطابه لجموع المصلين تعدى الحاضرين ليصل حتمًا من سيستمع لخطبته مسجلة (عادة ما توضع على شبكة الإنترنت، بالإضافة إلى نسخها وتوزيعها). وبذلك فهو قدم دليلاً إرشاديًّا دينيًّا للمتظاهرين. في تناوله للحكومة والمتظاهرين، لعب الرفاعي دور الوسيط الأخلاقي بين الطرفين، عاطيًا إياهم الدليل الإرشادي الضروري لملاحظة (نعمة الأمن). أخيرًا، موقف الرفاعي تجاه المتظاهرين مثل مُصادقة مُؤَهِلة. فقد قال الرفاعي في خطبته أنه كرر مرات عدة دعمه للتظاهرات ما دامت سلمية، تطالب بحقوق مشروعة، وترفع الظلم. بالرغم من ذلك، لو استتبعت التظاهرات حمل سلاح، إراقة دماء، إتلاف ممتلكات عامة أو خاصة. فكل هذا يعتبر (فتنة)، وهو الأمر الذي ترفضه تعاليم الإسلام.

درس البوطي – على عكس ذلك – وجهًا للجماهير، مما ناقض موقف الوسيط الذي اتخذه الرفاعي. بدلاً من ذلك، وضعه في صف القوة، يبني حجته مستندًا على عدد من الأسباب التي تحض الجماهير على عدم المشاركة في التظاهرات، أو في حقيقة الأمر التشكك في مثل هذه التظاهرات.

بتأكيده على أن الإصلاحات في الطريق، نفى البوطي أي احتمالية لتحقيق الإصلاح من خلال التظاهر، معللاً بأن أيًّا ما كان يطمح الفرد في الحصول عليه من التظاهر، يمكن حدوثه من خلال العملية التي فصلها. ما غاب عن درس البوطي، كان أي إيماءة لمطالب المتظاهرين بجانب فكرته المتخيلة عن (الإصلاح). فبينما سعى الرفاعي في خطبته لتخفيف القبضة الأمنية الثقيلة، ولسماع أصوات المتظاهرين، سعى البوطي في درسه لتقليل التظاهرات من خلال إقناعهم بوعود الإصلاح. كلاهما بالرغم من ذلك، ألقى اللوم على الحكومة لاستخدامها العنف.

على الرغم من هذه الاختلافات، (النصيحة) الموجهة للحكومة لم تكن عائقًا بالنسبة للبوطي أو لأي شخصية عامة تتخذ موقفًا مناصرًا للحكومة. فنصيحة الرفاعي أداها بشكل علني تمامًا، من على منبر جامع وأمام المئات من المصلين، وانتشرت بين عدد جماهيري أكبر عن طريق وسائل الإعلام الإلكتروني. وبالرغم من ذلك، فإن النصيحة يمكن أن تحدث بشكل سري، وهو الشكل المفضل لأنها بذلك تحمي الجوانب الأخرى للتعاليم الأخلاقية للإسلام مثل حماية سمعة الأفراد، عدم تعرضهم للتشهير، القدح، الوشاية وما إلى ذلك[١٩]. في حالة تقديم النصيحة للدولة، تقديم النصيحة في السر يحول دون تهييج الشعوب، والمساءلة العامة لسلطات الدولة. والبوطي – في هذا الجانب – أظهر كيف أنه وظف النصيحة وقدرته في التأثير على النظام في المسيرات السابقة، وكيفية استفادته من هذا الاقتراب.

(١٩) Talal Asad, "The Limits of Religious Criticism in the Middle East": 223-227. في مناقشته للنصيحة عند علماء المملكة العربية السعودية.

الخامس والعشرون من مارس: خطبة الشيخ يوسف القرضاوي

في نفس الجمعة، ألقى الشيخ يوسف القرضاوي خطبته من قطر، والتي ركزت أيضًا على الانتفاضة السورية[٢٠]. هذا العالم الأزهري لديه تاريخ سياسي من الإثارة منذ شبابه، فقد ألقي القبض عليه من الملك فاروق والرئيس جمال عبد الناصر عدة مرات. غادر مصر في الستينيات لرئاسة المعهد القطري الثانوي للدراسات الدينية، وعاش هناك منذ ذلك الحين ككاتب غزير الإنتاج، وقد أُعِيدَ نشر العديد من كتبه الهامة بواسطة دور نشر محلية في العالم العربي، محدثين انتشار وقيادية أوسع لشخصه. كما ترجمت هذه الأعمال للغات الأوروبية واللغات الإسلامية الأخرى مثل التركية، أوردو، والمالايو. مع بدء بث شبكة قنوات الجزيرة في عام ١٩٩٦، أصبح برنامجه الأسبوعي (الشريعة والحياة) منصة القرضاوي للوصول لعدد أعظم من المتابعين ونقل رسالة (الحداثة الإسلامية) خاصته. بهذه الأدوات، بالإضافة إلى عدد لا نهائي من المحاضرات التي ألقاها في كل دول العالم، استطاع القرضاوي - بلا شك - أن يحتل موقع العالم العابر للحدود. إلى جانب ذلك، فهو ربما المؤيد الأبرز للربيع العربي ما بين العلماء. في خضم التظاهرات في مصر، سعى المتظاهرون للحصول على دعم العلماء المصريين الذين نالوا شهرة بين الأجيال الجديدة في العقد الأخير، خاصة مفتي الجمهورية الشيخ علي جمعة، وشيخ الأزهر الشيخ أحمد الطيب، إلا أن كليهما حذر الشعب من النزول إلى ميدان التحرير، بل طالبوا المتظاهرين بالعودة إلى بيوتهم. على العكس من ذلك، شجع القرضاوي الشباب، بل الجميع – مسلمين، أقباط، علمانيين، شباب، عجائز، كل الفئات – النزول لميدان التحرير. وبذلك لم يكن من المفاجأة – بعد أيام من تنحي مبارك – أن يؤم القرضاوي المتظاهرين في صلاة الجمعة بالتحرير، مُتَوَّجًا بلقب شيخ الثورة[٢١].

(٢٠) للمزيد عن القرضاوي، انظر:
Bettina Graf and Jakob Skovgaard-Petersen, eds., *Global Mufti: The Phenomenon of Yūsuf al-Qaradawi* (London: Hurst, 2009).

(٢١) قمت باستخدام هذه الجملة لأنه أبرز عالم دين قدم دعمًا غير مشروط للربيع العربي، وقام بإجراء حوارات ومحادثات مع النشطاء المصريين، وهو ما جعلهم يعتبروه واحدًا منهم. لقب (شيخ الثورة) بالرغم من ذلك منح سابقًا للشيخ عماد عفت، خريج جامعة الأزهر، ومسئول رفيع في دار الإفتاء المصرية، حضر عماد عفت كل التظاهرات التي حدثت في ميدان التحرير منذ بداية الثورة في يناير ٢٠١١. قتل خلال تظاهرة في ١٦ ديسمبر ٢٠١١ بطلق ناري في الصدر.

عنصر هام في أفكار القرضاوي يتداخل مع كونه عالـمًا عابرًا للحدود، وهو رؤيته (للوحدة الإسلامية). لذا فإن الأمة الإسلامية جميعها تقع داخل دائرة اهتمامه. وما يعكس ذلك، الفتوى التي أطلقها القرضاوي – بعد ثلاثة أيام من خطبة ميدان التحرير – من خلال لقاء أجراه في قناة الجزيرة الفضائية، مخاطبًا الجيش الليبي بكف أسلحته عن وجه الشعب، ووضعها في مواجهة القذافي. هذا الاهتمام بالوحدة الإسلامية أيضًا انعكس على الكيفية التي صور بها القرضاوي الوضع السوري ضمن الربيع العربي. بالنسبة للقرضاوي، هناك رابط قوي بين سوريا ومصر، ولهذا السبب فقد رفض بقوة فكرة (الاستثنائية السورية). نادت بهذه الفكرة أصوات عدة، مستخدمين سيناريوهات مختلفة. (بما فيهم الرئيس الأسد في الواحد والثلاثين من يناير عام ٢٠١١ خلال حواره بجريدة وول ستريت[٢٢]). ولكن جوهر الأمر أن الجميع أصـرَّ على اختلاف سوريا عن جيرانها، وبذلك فهي بمنأى عن الصحوات والاحتجاجات التي تجتاح العالم العربي. في حين قاومت سوريا بوضوح الموجة الثورية الأولية في يناير وفبراير ٢٠١١، ردود الأفعال الحادثة بمختلف المناطق السورية بعد الحملات الأمنية الواقعة بدرعا في مارس أثبتت للقرضاوي حتمية كمون الروح الثورية بالشعب السوري. فقد قال القرضاوي: «اليوم وصل قطار الثورة إلى محطة كان لا بُدَّ أن يصل إليها، وهي محطة سوريا»[٢٣].

تحدث القرضاوي مباشرة عن الحملات الأمنية في درعا، وقلل من مجهودات الحكومة في معالجة المشكلة القائمة. في اليوم السابق، بثينة شعبان – المستشارة الإعلامية والسياسية للرئيس الأسد – كانت قد أعلنت أن اللجنة العليا القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي تنوي رفع قانون الطوارئ وتطبيق قانون الأحزاب السياسية[٢٤]. القرضاوي لم يكن رافضًا لهذه الحزمة من الإصلاحات المعلنة ولا للجنة العليا القطرية فقط، بل لطريقة التفكير بأكملها.

(٢٢) نص الحوار موجود بالرابط التالي، انظر:
"Interview with Syrian President Bashar al-Assad", *The Wall Street Jorunal*,
https://www.wsj.com/articles/SB10001424052748703833204576114712441122894

(٢٣) الخطبة متاحة على الرابط التالي، انظر: «خطبة الجمعة لفضيلة الدكتور يوسف القرضاوي ٢٥ مارس»،
YouTube, https://www.youtube.com/watch?v=jEv_g2CnJxE

(٢٤) «الحكومة السورية تعلن حزمة وعود بينها دراسة إنهاء قانون الطوارئ: حقوقيون: سقوط مائة قتيل في درعا على أيدي الأمن»، العربية. نت، https://www.alarabiya.net/articles/2011/03/24/142851.html

«ما الذي أبقى حزب البعث الحاكم واللجنة القطرية العليا تتحكم في أهل سوريا؟ حزب البعث انتهى وجوده بكل العالم العربي. كل هذه الأحزاب السياسية القديمة، باد عهدها ونهايتها أقبلت. الحزب الدستوري في تونس، الحزب الوطني في مصر. كل هذه الأحزاب انتهت. ماذا بقي؟ حزب البعث؟ من أنت، يا حزب البعث؟ هؤلاء متخلفون، يعيشون في عصر غير العصر الذي نحن فيه. نحن في عصر الثورات العربية. هؤلاء لا يفتحون أعينهم، ولا يفتحون آذانهم. لا يفتحون أعينهم ليبصروا، ولا يفتحون آذانهم ليسمعوا. ولا يفتحون رءوسهم وعقولهم ليفكروا. يفكرون بعقول أخرى»[٢٥].

بعد رفضه لمجهودات نظام الأسد لتهدئة الانتفاضة في درعا، حول اهتمامه للبوطي، وإن لم يذكر اسمه صراحة، إلا أنه قصده بوضوح. انتقد القرضاوي البوطي على محملين: ما رآه القرضاوي من تنصيب البوطي نفسه محاميًّا عن الحكومة. والصفات التحقيرية التي نعت بها المتظاهرين: رعاع، يتلقون أموالًا من الخارج، رءوسهم لا تعرف السجود، وغيرها. وضع القرضاوي إنجاز الشباب المصري في منزلة عالية التبجيل، ورأى الشباب السوري على نفس القدر. ورأى القرضاوي أن الانتقاص من سمعة المتظاهرين السوريين، يعد انتقاصًا من سمعة المتظاهرين المصريين وثورتهم. وأشار إلى نقد البوطي للمتظاهرين السوريين قائلاً:
«وا أسفاه، أن ينزل العلماء بقدرهم إلى هذا المستوى، بدلاً أن يقول للظالم كف ظلمك عن الناس. أقم العدل بين الناس. يمدحه ويذم هؤلاء الشباب. الشباب الذين أقاموا ثورة مصر، شباب ميدان التحرير»[٢٦].

الجرأة الأكبر كانت في تحوله للحديث عن الانتماء العلماني لنظام الأسد، والقوة الحقيقية للنظام. جملة واحدة – قالها في عجالة – كانت لتصبح مركز الغضب الأكبر في سوريا؛ راويًا أحداث زيارة نادرة له لسوريا خلال الحرب على غزة عام ٢٠٠٨. ومن هنا وصف القرضاوي علاقة الشعب السوري بنظام الرئيس الأسد كما يلي: «أنا أرى أن الشعب السوري يعامله – يقصد الرئيس الأسد – على أنه سني». ثم استطرد في ملاحظاته حول الأسد مفصلاً أنه متفتح، مثقف،

(٢٥) الخطبة متاحة على الرابط التالي، انظر: «خطبة الجمعة لفضيلة الدكتور يوسف القرضاوي ٢٥ مارس»، *YouTube,* https://www.youtube com/watch?v=jEv_g2CnJxE
(٢٦) المرجع السابق.

شاب يمكن أن يعمل الكثير. إلا أنه «أسير حاشيته، وأسير طائفته. لا يستطيع أن يتخلص منهم». وكنتيجة كان يرى كل شيء من خلال منظارهم. وبلا شك كان ذلك إسقاطًا على هيكل القوة الذي ورثه بشار من فترة حكم والده كرئيس، بما فيهم الجيش، حزب البعث، والبنية التحتية للبوليس السري. وبذلك فإن القرضاوي قد اصطدم بانتماء الرئيس الأسد لأقلية دينية، إلى جانب الترتيبات الشرطية للحكم على رأس النظام السياسي. ولهذه الاسباب، فإن القرضاوي قد بلور مشكلات لا يمكن حلها من جذورها[٢٧]. بالرغم من ذلك، فإن كل نداءاته للشعب السوري من كل طوائفه الدينية والعرقية للوقوف في وجه نظام الأسد قد ذهبت سدى، فكل التحركات والنداءات الطائفية للتضامن فسرت على أنها نشرٌ للفتنة.

مفتي الجمهورية، الشيخ أحمد حسون وسردية النظام

في ظل غياب البوطي، مفتي الجمهورية – الشيخ بدر الدين أحمد حسون، المولود عام ١٩٤٩ – خطا نحو الظهور الإعلامي ليصدر رواية النظام حول الأحداث. كان حسون سابقًا مفتي حلب، ثم خلف الشيخ أحمد كفتارو الذي توفي عام ٢٠٠٥ في منصب مفتي الجمهورية. زمرة من علماء الصف الأول البارزين (بما فيهم البوطي، وهبة الزحيلي، مصطفى الخن، مصطفى البغا، وغيرهم) أفسحوا الطريق لتنصيب واحدٍ من علماء الصف الثاني. واحد من التفسيرات المنتشرة حول تعيينه في هذا المنصب، هو رفض علماء الصف الأول العروض التي تلقوها للحصول على المنصب. فترته القصيرة كمفتي، لم تكن لتمر بدول إثارة للجدل كما سنرى لاحقًا. على عكس كفتارو الذي لعب دور القائد الروحي لآلاف السوريين، وكان هادئًا واستيعابيًّا في علاقته بالحكومة. لعب حسون دورًا أكبر كسياسي ومتحدث رسمي عن الحكومة بدلاً من دور المفتي.

حسون بدأ حواره على قناة الجزيرة في السادس والعشرين من مارس قائلاً: «نحن في سوريا أيها الأحبة نعيش اليوم فرحة ما بعدها فرحة؛ لأننا وصلنا كشعب وقيادة إلى ما وصل إليه إخوتنا في تونس وفي مصر وفي العالم العربي، دون أن يكون هنالك صدامات وإراقة دماء

(٢٧) الخطبة متاحة على الرابط التالي، انظر: «خطبة الجمعة لفضيلة الدكتور يوسف القرضاوي ٢٥ مارس».
https://www.youtube.com/watch?v=jEv_g2CnJxE

كما زعم الكثير من الإخوة، وكما دعا إليها بعض فضلاء العلماء بالأمس في خطب الجمعة في عالمنا العربي»[٢٨].

أشار حسون إلى هؤلاء الناس – ومن الواضح أن القرضاوي كان في ذهنه – بـ «خطباء الفتنة» الذين يريدون للشعب السوري أن يتمزق طائفيًّا ومذهبيًّا[٢٩]. عندما سئل عن العشرات من القتلى من المتظاهرين، وعد حسون بتطبيق العدالة الناجزة على كل من تجاوز من الحكومة في الحملات الأمنية على درعا مع التأكيد على نقطة أن مصدر التظاهرات خارجي. خلال اللقاء الحواري، أُظهِرَت صور تبث من الهواتف النقالة لمتظاهرين يتحدثون بصوت أعلى وأوضح من صوت حسون.

في ذلك الأسبوع، سافر حسون إلى درعا وزار الجامع العمري، والذي أصبح مركز الاحتجاجات، وبالتالي مشهدًا للحملات الأمنية العنيفة. بعد رؤيته لما آلت إليه الأمور رَأْي العين، تحركت مشاعره كما ظهر في تسجيل محاضرته التي ألقاها هناك، وكما أيضًا روي عن شهود عيان. لذا فيما بعد، تجنب لفت الأنظار، وصار يعمل خلف الكواليس لتهدئة الجماهير، بات يظهر في التليفزيون السوري من آنٍ لآخر متمسكًا بموقفه في دعم الحكومة[٣٠].

منذ ذلك الوقت والرواية الرسمية للأحداث تأرجحت بشكل كلي. استبدل التليفزيون السوري برنامجه المعتاد بتغطية على مدار الساعة للأحداث من الوكالة العربية السورية للأنباء. الرواية الرسمية تبنت فكرة أن مصدر التظاهرات ليس سوريا ولكن المندسين الأجانب – إسرائيل، الولايات المتحدة الأمريكية، أو غيرهم – متخذي المراهقين السذج كضحايا. استمر الجدل بأن الوضع السوري نادر في منطقة الشرق الأوسط؛ نظرًا لاستقرارها، أمنها، وغياب القتال الطائفي بها. هذه اليد الخارجية – كما ذهب منطق الرواية الرسمية – تسعى للعبث بهذه الإنجازات من خلال التظاهرات والفتنة الطائفية للموقف السوري المعارض في المجتمع السياسي الدولي (على سبيل المثال معارضة إسرائيل، ومعارضة التوسعية الأمريكية).

(٢٨) اللقاء متاح على الرابط التالي، انظر: «الضال المضل أحمد بدر الدين حسون على قناة الجزيرة – ٢٦ مارس ٢٠١١»، *YouTube,* https://www.youtube.com/watch?v=8vqcuIOXEks

(٢٩) المرجع السابق.

(٣٠) «مفتي سوريا أحمد حسون ينضم إلى الثوار»، *YouTube*, https://www.youtube.com/watch?v=teQj_1aSRbg

أشكال أخرى للرواية الرسمية تحدثت عن تحريض أعداء نظام الأسد لهؤلاء المتظاهرين أمثال الإخوان المسلمين، نشطاء السلفية الجهادية أو الأعداء الخارجين مثل القاعدة. بغض النظر عن تحديد المصدر الفعلي للاضطرابات في سوريا. هذا التهديد المحاك استدعى تطبيق قانون الطوارئ، وكان ثمرته الأمن والاستقرار اللذيْن نعمت بهما سوريا.

الأول من إبريل: مظاهرات أكثر في دمشق، وخطبة الشيخ كُريِّم راجح

في الأسبوع الذي تلاه، في جمعة الأول من إبريل، تكررت التظاهرات في دمشق. هذه المرة في منطقتين: مرة أخرى في مسجد الرفاعي في كفر سوسة. وأيضًا في جامع الحسن في حي الميدان بعد خطبة الشيخ كريم راجح. راجح شيخ قراء الشام (المولود عام ١٩٢٦) ومن قراء القرآن المعترف بهم دوليًّا، وله قاعدة شعبية قوية في حي الميدان. وهو أيضًا وريث مجهودات الشيخ حسن حبنكة (المتوفى عام ١٩٧٨). وهو إلى جانب الشيخ عبد الكريم الرفاعي كان أداةً لإعادة إحياء الممارسات الإسلامية في دمشق خلال منتصف القرن الفائت.

الشيخ حبنكة بالإضافة إلى كونه معلم الجيل الأكثر تبجيلاً من علماء دمشق كالبوطي، أيضًا عرف عنه معارضته للتحركات السياسية التي اتخذها حزب البعث في الستينيات والسبعينيات من القرن المنصرم لإحكام سيطرته على البلد. على سبيل المثال، عام ١٩٦٥، قاد حبنكة مسيرة مكونة من عشرين ألف شخص في المدينة كردٍّ على مادة معادية للدين تم نشرها في مجلة تابعة للجيش. عندما قبض على حبنكة، أغلقت أسواق دمشق احتجاجًا، مطالبين بإطلاق سراحه[٣١]. راجح كان أكثر تلاميذ حبنكة قربًا، ورافقه كمعلم في هذه الأحداث المتعددة.

خطبة راجح – كما فعل الرفاعي – لم تدعم صراحة التظاهر. بدلاً من ذلك، وضع خطبته في إطار النداء الموجه للشعب بالعودة إلى الله، وإلى وضع الممارسات الدينية في مكانة أفضل في حياة الأفراد. ثم تحدث مطولاً عن الحريات ومطالب الشعب مستهدفًا عنصرين في رواية الحكومة في مواجهة المتظاهرين. الأول كان ادعاء الحكومة بأن قانون الطوارئ كفل الأمن الذي يتمتع به

(٣١) Patrick Seale, *Asad: The Struggle for the Middle East* (Berkeley: University of California Press, 1988): 115.

كل السوريين. فقال: «نريد أن نحيا، نريد الحرية، نريد الكرامة، نريد لهذا الشعب أن يشعر أن بإمكانه النوم ليلاً من دون خوف في قلبهم، أنه من الممكن استدعاؤهم الصباح التالي للذهاب هنا أو هناك. قوانين الطوارئ مشكلة. لو تم إزالتها واستبدالها بقوانين ضد الإرهاب، فهو الأمر الأسوء». (وهو ما كانت تنوي فعله الحكومة، وأخيرًا طبقته).

الأهم من ذلك، أنه استهدف الادعاء بأن هذه المطالب نتيجة لتحريض خارجي:
«أتمنى للخطبة التي ألقيها بنية كلمة مختصرة من فم رجل يعطي نصيحة مخلصة لفم رجل غيور على سوريا، غيور على العالم العربي، غيور على العالم الإسلامي. الآن، أنا لا أتقلد منصبًا، ولا أدير مركزًا تعليميًّا، ولا أتطلع لراتب أكبر مما أحصل عليه. أنا في نهاية عمري. لذا لتفهموا أن نيتي من هذه الكلمات النصح. من المناسب لشخص قد تعدى عامه التسعين أن يخاطب حاكم الأرض، أن يخاطب قائد الشعب، أن يخاطب الجيش، وأن يخاطب المخابرات. رجل وصل لهذا العمر، عاش ما يقرب من قرن من الزمان، حدث له كل شيء يمكن أن يحدث. يحق له قول هذه الكلمات. حقًا، خذ كلماتي كتلك الآتية من مستشار مخلص. أنا رجل سوري، عشت بسوريا، والدي بسوريا، جدي بسوريا، جدي الأكبر بسوريا، أبنائي بسوريا، عائلتي بسوريا. أصبو لأن تكون سوريا قائدة العالم. سوريا، سوريا، وأن يقود الإسلام العالم، وأن تقود لا إله إلا الله العالم. هذا ما أصبو إليه».

بالتركيز على عمره، استطاعت كلماته أن تجتذب احترام المستمعين لكبره ولكونه عالـمًا مبجلاً. رابطًا ذلك بتركيزه على نسبه السوري الأصيل، والذي سمح له باتخاذ موقف قومي مبررًا به المطالب التي تدعي الحكومة تهديدها لروابط الوحدة الوطنية. بقوة بلاغته، استطاع أن يدحض ادعاءات «المندسين الأجانب» ويجذر مطالب المتظاهرين كقاعدة لمطالب الشعب السوري. بعد توجهه بالحديث للحكومة، حول حديثه تجاه الحاضرين مطالبًا إياهم بعدم خلط الأمور (مثل عدم المشاركة في التظاهرات) محذرًا استخدام المساجد لأغراض غير تعبدية، كما حذر من تحميل الخطب أكثر مما تعني وجعلها ذريعة لانطلاق تظاهرات من مسجده. بالرغم من طلبه، في هذا اليوم، حوالي مائتي فرد انطلقوا من المسجد ناحية المقر الرئيسي للشرطة المحلية. وفي النهاية، فضت هذه التظاهرة.

عودة البوطي

عاد البوطي من رحلته الخارجية ليلقي درسه في الرابع من إبريل في جامع الإيمان، وخصص درسه للحديث عن الأحداث المتصاعدة في درعا[٣٢]. نبرته كانت حزينة وقدم تعازيه للأهالي الذين فقدوا ذويهم خلال الحملات الأمنية. ثم كرر ما قد أثاره قبل سفره من الطريق الوحيد الصحيح – ويعني بذلك الإصلاح – ويتم بالحوار بين الدولة وممثلي المجتمع المدني. الثورة – مكررًا – والاحتجاجات السابقة تعد محاولة من طرف واحد للإصلاح، والتي ستتطلب من الأمة دفع ثمن يفوق بكثير المنفعة التي يمكن إنجازها عن طريق الثورة. الهدف من حديثه هذا المساء كان الإصلاح الحقيقي الحاصل من خلال الحوار، وأراد بذلك توضيح هذه النقطة من خلال مثال فعلي. فأخبر الحاضرين أنه قبل التظاهرات، كان قد جلس مع الرئيس الأسد وأشار عليه بالحاجة إلى فتح الباب للحريات، وأن زمان حكم الحزب الواحد قد انتهى. وفقًا للبوطي فقد وافق الأسد على هذه الاقتراحات، وصرح بأنه في طريقه لأخذ خطوات ناحية تحقيق هذه الأهداف. ومن ثم بادر الرئيس بسلسلة من الاجتماعات مع شخصيات عامة بارزة في المجتمع المدني السوري، وبذلك فإن طريق الإصلاح كان قد بدأ. والدليل على نجاح هذه المحادثات، أعلن البوطي الإصلاحات الدينية التالية، والتي وعد نظام الأسد بتنفيذها:

- صَدَرَ قرار بإعادة كل المنقبات اللاتي أُبعِدْنَ عن التدريس بسبب النقاب إلى أعمالهن ووظائفهن.
- مرسوم صَدَرَ عن السيد الرئيس، بإحداث معهد الشام العالي للدراسات الشرعية واللغوية، ودراسات اللغة العربية والشريعة الإسلامية. هذا المعهد العالي تتفرع عنه معاهد كثيرة كلها تؤهل دارسين للشهادة الجامعية الأولى، وتؤهلهم للماجستير، وتؤهلهم للدكتوراه، وشهادته مقبولة.
- تعليمات صَدَرَت من السيد الرئيس بإحداثِ قناةٍ فضائيةٍ دينيةٍ في سوريا. قناة فضائية دينية ترعى الإسلام الحق.

(٣٢) لقراءة نص الدرس متاح كتابة، انظر: «يغالطونك إذ يقولون/ مرئي»، **نسيم الشام**، http://naseemalsham.com/ar/Pages.php?page=Lessondetails&pg_id=9716&bk_id=9332

بالنسبة للإصلاحات السياسية – خاصة رفع قانون الطوارئ، وقف حكم الحزب الواحد، وتغيير القوانين التي تُقيِّد الحريات – ذكر البوطي أن الرئيس بالفعل قام بتغييرات وما تبقى فقط هو الإعلان عنهم. وهو ما سيحدث في المستقبل القريب. اختتم البوطي النصف الأول من حديثه متسائلاً بنبرة خطابية: « إذن أنا أعود فأسألكم: الحِوار أفادَ أم لم يُفِدْ؟»[٣٣].

الجزء الثاني من حديثه ركز على خطبة القرضاوي الملقاة من عشرة أيام فائتة. البوطي والقرضاوي لديهما تاريخ طويل من الخلافات. أحد الجوانب الهامة لهذا علاقة كل منهما بحكومته. لذا لم تكن من المفاجئة أن يشير القرضاوي في حديثه إلى البوطي، ولم يفاجئ أيضًا البوطي أحدًا برده عليه. وبذلك فقد عبر البوطي عن دهشته على تشجيع القرضاوي للتظاهرات، والتي أطلق عليها «طريقة غوغائية» للإصلاح. وقد أبدى تعجبه الشديد لكون رجل علم كالقرضاوي يمكنه أن يدعو لطريق تخريبي بدلاً من طريق التعمير المتمثل في الحوار. والأكثر من ذلك، فقد أبدى تعجبه عن امتناع القرضاوي عن توجيه (النصيحة) خلال زيارته لسوريا عام ٢٠٠٨ عندما أتيحت له فرصة مجالسة الرئيس الأسد. بدلاً من ذلك، فقد كال المديح والثناء لسوريا ومعارضتها لإسرائيل وأمريكا، وكان يتوجب عليه الحديث الصريح في وجود الرئيس الأسد بدلاً من التحدث على منبر في قطر. ثم طلب البوطي من القرضاوي ألا يدع الطائفية تشوش عليه عقله، وأن يترك الحكم لله.

في النهاية، قام البوطي بأداء صلاة الغائب على أرواح الشهداء، وهو ما بعث برسالة محيرة. من جانب، أداء صلاة الغائب على قتلى درعا ودوما هو اعتراف منه بشكل أو بآخر بشهادتهم. والأكثر من ذلك أن معاملتهم كشهداء يستتبع فكرة أن قتلهم هو عمل غير منصف، وبالتالي يلقي إلى حد ما باللوم على الحكومة. لذا بدلاً من الانحراف بعيدًا عن تجاوزات الحكومة وقبضتها المتينة، وبصلاته على الغائب وضع التساؤل عن الموقف الأخلاقي للحكومة والمتظاهرين في المقدمة، مقللة من ذنب الأخير، وملقية باللوم على الأول.

التراشق بين القرضاوي والبوطي له أهمية خاصة من حيث كونه يحدد بشكل بارز، ويضرب مثلاً على الحرب الكلامية المحيطة بالتظاهرات السورية. كما ذكرنا سابقًا، أشار القرضاوي بشكل

(٣٣) لقراءة نص الدرس متاح كتابة، انظر: «يغالطونك إذ يقولون/ مرئي»، **نسيم الشام**، http://naseemalsham.com/ar/Pages.php?page=Lessondetails&pg_id=9716&bk_id=9332

غير مباشر إلى البوطي وعلماء سوريا الواقفين بجانب النظام. ورد على كلٍّ من البوطي وحسون بشكل مباشر أو غير مباشر. واصل النظام اتهام العملاء الأجانب بالتسبب في المشكلات، واستطاعوا أن يوجهوا يد الاتهام إلى شخصيات عامة مثل القرضاوي كمثال على الخطباء الأجانب غير المسئولين الذين يؤججوا الخلاف والطائفية في سوريا. النزاع بين البوطي والقرضاوي على الرغم من ذلك مختلف في طبيعته عما بين القرضاوي والنظام. القرضاوي – كما ذكرنا سابقًا – عالم إسلامي غير حدودي، وبذلك فهو غير مرتبط بشعب محدد؛ لذا فهو قادر على وضع أشكال مثالية للحكومة الإسلامية. ويمكنه تبني مواقف صدامية لكونه عالمًا في منفى[٣٤]. البوطي على العكس من ذلك، عالم مرتبط بوطنه. عندما نزح غالبية العلماء البارزين في سوريا في أواخر السبعينيات والثمانينيات، تمسك البوطي وقلة آخرين بالبقاء وحاربوا من حضور الإسلام في المجال العام. بغض النظر عن ما له من نفوذ خارجي (فعليًّا أقل مما يمتلك القرضاوي من نفوذ)، فإن اهتمام البوطي الخاص كان مرتبطًا بمصالح الشعب السوري وليس بالضرورة الدولة السورية. بطريقته الخاصة، أبعد نفسه عن النظام واستخدم نفوذه للتأكيد على أن يرى الجميع منافع الدين، ولكنه فعل ذلك واضعًا في ذهنه صالح المجتمع السوري. لذا، فقد تطلب اقترابه البرجماتي للتواصل مع نظام الأسد منهجًا دبلوماسيًّا أكثر مما يتخذه القرضاوي. لذا، فإن اهتمامه بالشعب فرض على خطاب البوطي قيودًا لم تفرض على القرضاوي.

الثامن من إبريل: خطبة الشيخ محمد اليعقوبي

في أول إبريل، أرسل ماهر الأسد – الأخ الأصغر للرئيس وقائد الفرقة الرابعة والحرس الجمهوري بالجيش السوري – إلى درعا للتعامل مع التظاهرات. قادت قواته حملات أمنية نظامية وعنيفة. انتشرت صور وتقارير العنف سريعًا في كل الدولة مما أثار ذكريات مجزرة حماة عام ١٩٨٢. لم ينسَ أحد نظيره رفعت الأسد والحملة الأمنية الممتدة لشهر عام ١٩٨٢، وكان أيضًا الأخ الأصغر للرئيس السابق حافظ الأسد. وقد انتشر الغضب من العنف المتصاعد كليًّا.

(٣٤) يجب ذكر أن كل أحاديث القرضاوي عن الربيع العربي، استخدم نبرة أهدأ واهتمامًا أقل عند تناوله تظاهرات البحرين، مما يوضح اهتمامه بالعلاقات الجيوسياسية القطرية.

الشيخ محمد أبو الهدى اليعقوبي (المولود عام ١٩٦٣)، والذي اعتاد أن يلقي خطبه في جامع الحسن في قلب دمشق. كان من العلماء الدمشقيين القلائل الذين عبروا عن غضبهم وطالبوا بوقف العنف. الشيخ اليعقوبي ينحدر من نسل الرسول ﷺ وينتمي لعائلة من العلماء. درس حتى المرحلة الجامعية في السويد، وله عدد ضخم من التابعين عالميًّا؛ نظرًا لتدريسه لسنوات في شمال أمريكا وأوروبا. عقب عودته لدمشق عام ٢٠٠٦، درس اليعقوبي في مساجد متعددة بما فيهم الجامع الأموي، وجامع – ضريح الصوفي الشيخ محيي الدين بن عربي، وحديثًا في جامع الحسن في حي الرمانة في قلب دمشق.

وجه اليعقوبي خطبته في جامع الحسن في الثامن من إبريل إلى كل من يدير الدولة، قائلاً:
«أيها الإخوة المؤمنون. تمر بلادنا بما تمر به من فتن، وأصبح القاصي والداني يتحدث بما يرى ويسمع من فتن واضطرابات وقتل وإيذاء. ولا بد من الجواب و(النصح) للكبير والصغير. للرئيس والمرءوس. للراعي والرعية. وخير النصح ما خرج من قلب محب. غيور على دين الله عز وجل. محب للبلد. غيور عليه أن يتمزق. غيور على دماء المسلمين أن تراق بغير حق»[٣٥].

ثم أردف اليعقوبي موضحًا أن مصدر التظاهرات كما يلي:
«كنا نحب أن تتسارع خطوات الإصلاح. فالشعب تقوده الطموحات والناس تحركها في الشوارع سنون من الكبت الطويل. وهي لا تريد إلا لقمة العيش وحرية الكلمة. ولكن بين هذا وذاك خرج الناس إلى الشوارع. وإذا بنا نرى أبناء الشعب يسقطون واحدًا تلو الآخر في درعا وفي دوما، وكأنه لا كرامة للحياة الإنسانية»[٣٦].

أكمل اليعقوبي مستشهدًا بآيات من القرآن الكريم وأحاديث حول نبل خلق الله للإنسان، حرمة الظلم وقتل الأبرياء والحريات التي جعلها الله خالصة للبشرية. ثم علق على الآيات المستشهد بها فيما يخص الدولة السورية من تقييد حرية التعبير، ثورة المعلومات التي ناقضت الرواية الرسمية للدولة، وأيضًا على العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين في تعاليم الإسلام

(٣٥) الخطبة متاحة للاستماع على الرابط التالي، انظر: «أحداث سورية خطبة الجمعة للشيخ محمد اليعقوبي من دمشق»، *YouTube*, https://www.youtube.com/watch?v=RTQHumyN5kM

(٣٦) الخطبة متاحة للاستماع على الرابط التالي، انظر: «أحداث سورية خطبة الجمعة للشيخ محمد اليعقوبي من دمشق»، *YouTube*, https://www.youtube.com/watch?v=RTQHumyN5kM

في موضوعات العدالة. ثم نصح المتظاهرين ومن يشاهدهم بالاستمساك بتعاليم الإسلام، بما يعني الحفاظ على سلمية التظاهرات. تميزت خطبته بالجرأة؛ لأن العديد من المصادر النصية التي استشهد بها تضع استخدام العنف، الظلم، قتل الأبرياء، الاستبداد في موضع معادل لعدم الإيمان. ورغم أن اليعقوبي لم يصرح بهذا الأمر صراحة، فإن خطبته كانت بمثابة تحذير للدولة ولمكانتها الأخلاقية.

تم رفع هذه الخطبة على موقع اليوتيوب وأحدثت ضجة بين الدمشقيين والمشاهدين خارج سوريا. وبسبب خطبة الثامن من إبريل شهد جامع اليعقوبي حشودًا هائلة في الأسبوع التالي. جاء أفراد من خارج حي أبو رمانة لحضور الخطبة، متوقعين أن يكون مركز التظاهرات في دمشق. توقعت المخابرات نفس الشيء وانتشر بأعداد كبيرة خارج المسجد. وعلى العكس، أفسد اليعقوبي الموقف، وأعطى خطبة امتدت لخمس دقائق فقط، قائلاً:
«وجود كثرة جديدة أتت لهذا الجامع من مناطق مختلفة في المدينة. البعض توقع أن تنطلق تظاهرات من هنا، والبعض أتى ليضع نهاية لهذه التظاهرات. دعوني أتحدث بوضوح، إنني تسلمت رسالة الأسبوع الماضي من واجبي كإمام تسليمكم إياها. أناس هذا الحي مسرورون من قيادة بشار الأسد ولا يرغبون في إحداث تحريض أو مشكلات. نحن نرحب بمجهوداته الإصلاحية وندعمه في ذلك. لو أتيتم هنا لأغراض أخرى، ارجعوا لأحيائكم وافعلوا ما تريدون هناك. نشكر الرئيس على استماعه للشعب، ونأمل أن تحقق وعوده الإصلاحات»[٣٧].

هذه الخطوة من اليعقوبي يجب ألا ترى كتراجع عن موقفه السابق، بدلاً من ذلك، فهي خطوة متسقة مع النهج السني الذي يتبعه اليعقوبي، الرافعي، وراجح، والذي يرى أن إثارة عنف الدولة يجلب أذى أعظم من الفشل في دفع الدولة لتحمل مسئوليتها الأخلاقية.

مسألة الطائفية: الكلمات التأبينية للشيخ معاذ الخطيب

تجنب العلماء الذين أتينا على ذكرهم مسبقًا – البوطي، حسون، الرفاعي، راجح، واليعقوبي – مسألة الطائفية إلى حد يقترب من الكلية. تناولوه كخطر يجب الحيطة منه. هذا الخوف أنتج ثقافة؛

(٣٧) سجل الكاتب شخصيًا هذه الخطبة.

تتصور أن سقوط نظام الأسد، سيضع الكتلة السكانية السورية غير المتجانسة – سنة، علويين، دروز، مسيحيين، أكراد – في مواجهة بعضهم البعض. ووفقًا لهذا المنطق، فإن نظام الأسد يحجم عداءهم المتبادل مقابل فقدانهم لحريات معينة؛ مما يوفر لجموع الشعب قدرًا معينًا من الأمن والأمان. بالنسبة للأجيال الأكبر، الحرب الأهلية اللبنانية في السبعينيات والثمانينيات أعطت نظام الأسد السابق مثالاً حيًّا، بينما الاقتتال الطائفي الذي مزق أواصر الدولة العراقية العقد الفائت لا يزال طيفه يراود خيال العديد من السوريين اليوم. في مثل هذه البيئة، عبارة القرضاوي العابرة التي ذكر فيها الانتماء العلوي للرئيس الأسد تعتبر تحريضًا على حرب أهلية.

الشيخ معاذ الخطيب (المولود عام ١٩٦٠) واحد من العلماء القلائل الذين استعرضوا المسألة الطائفية بشكل رئيسي. خلال الحملات الأمنية التي شنتها قوات ماهر الأسد على دوما ودرعا، حاضرة أخرى في الضواحي الشمالية لدمشق اشتعلت كمركز آخر للتظاهرات المناهضة للحكومة وأيضًا تم دكها بعنف. الخطيب نجل عائلة من العلماء. دَرَس الجيوفيزياء التطبيقية وعمل بشركة بتروكيماويات لمدة ست سنوات. حاليًّا هو رئيس جمعية التمدن الإسلامي، وهي جمعية إصلاحية تكونت في الثلاثينيات وتصدر عنها مجلة علمية ذات شأن هام[٣٨]. أعطى الشيخ معاذ سلسلة من المحاضرات المؤثرة في تجمعات العزاء في دوما، لامسًا العديد من الموضوعات. في إحدى كلماته التأبينية في السادس من إبريل، تناول مسألة الخوف الطائفي بالطريقة التالية:

«نحن في سوريا أيها الإخوة – وهذه ليست من نعم الدولة بل من نعم الله تعالى – عشنا طوال حياتنا أيها الإخوة كمسلمين – سنة، شيعة، علويين، ودروز – قلبًا واحدًا. وعاش معنا إخوة أكارم يهتدون بهدي عيسى – عليه السلام – محبة وإخاء ومودة. ولا يضيق صدر واحد منا عن أخيه. يفتح له قلبه وداره وبيته. وهذا الأمر هو الأمر الذي يجب أن نصر عليه في كل وقت. وألا تنطلق مشاعرنا خارج هذا الإطار النظيف الذي حيينا عليه ونموت عليه إن شاء الله»[٣٩].

(٣٨) Ahmad Mouaz Al-Khatib, "Al-Tamaddun al-Islami : Passé et présent d'une association réformiste damascène", *Maghreb-Machrek* 198, no. 4 (2009): 79-92.

(٣٩) خطبة الشيخ معاذ الخطيب في عزاء معضمية الشام، انظر: «د. معاذ الخطيب في عزاء معضمية الشام ٦ إبريل ٢٠١١»، *YouTube*, https://www.youtube.com/watch?v=nQJfz1DtSpk

في نفس العزاء، عبر الخطيب بكفاءة عن مشاعر المتظاهرين في مواجهة مشاعر الخوف قائلاً: «نحن لا ننظر لا في مشاعرنا ولا في قلوبنا إلى أيِّ إنسان في هذا البلد بنوع من الكره أو البغضاء وحاشاه لله. ليس خوفًا من الدولة ولا المخابرات، فقد انتهى عهد الخوف أيها الناس. هذه بلدكم وعليكم أن تحافظوا عليها»[٤٠].

في اليوم السابق، ألقى الشيخ معاذ الخطيب كلمة تأبينية أخرى سعى من خلالها إلى دحض المخاوف الطائفية بشكل أكبر. في هذه الكلمة، وجَّه صفعته للدولة بتسليط الضوء على المميزات التي تحصل عليها الطائفة العلوية على حساب الآخرين.

«ليست خطيئة أيها الإخوة الأعزاء أن يكون أحدنا سنيًّا، شيعيًّا، علويًّا، إسماعيليًّا. أو أن يكون عربيًّا أو كرديًّا. قيمة الفرد عند الله بتقواه. نحن جسد واحد. أقول لكم أن العلويين أقرب لي من الكثيرين. أعرف قراهم والبؤس وعدم العدالة التي عاشوا فيها. نحن نتحدث بحرية من أجل كل فرد في هذه البلد. من أجل كل سني، علوي، إسماعيلي، مسيحي. الشعب العربي، أو الشعب الكردي العظيم».

نتج عن هذه المحاضرات، استدعاء الخطيب للاستجواب في الخامس من مايو، ولم يعرف أحد عنه شيئًا لمدة شهر، ثم أُسكت تمامًا بعد إطلاق سراحه.

انتشار التظاهرات في ضواحي/ ريف دمشق

العديد من العائلات الكبيرة بدوما لديها أقرباء يعيشون في القرى والحواضر المحيطة بدمشق، مثل سقبا وكفر بطنا، مما أدى لانتشار التظاهرات في هذه القرى أيضًا. مع اقتراب الأمر بطيئًا نحو المدينة، تداول الدمشقيون قصص إلقاء المسئولية الأولية مرة على المتظاهرين ومرة على عنف الدولة. واحدة من القصص التي انتشرت بقوة في محيط العلماء الدمشقيين كانت لـ (معتز بالله الشعار)؛ وهو شاب في الثاني والعشرين من عمره، يدرس في كلية الحقوق جامعة دمشق. وعائلته على صلة ببعض العلماء. قتل في الثاني والعشرين من إبريل أثناء تظاهره ببلدته داريا.

(٤٠) المرجع السابق.

انتشرت هذه القصة سريعًا بين العديد من علماء دمشق لما لعائلة الشعار من روابط مع علماء كثر. أعطت شهرة الأفراد أصحاب الواقعة مصداقية أكبر للقصة في مواجهة القصص الأخرى التي تأتي لدمشق منقاة من فظاعات الدولة. أشار اليعقوبي إلى قصة الشعار في خطبة أخرى ألقاها في السادس من مايو، قائلاً: «قصة فرد، ولكنها في الحقيقة قصة العشرات. ومن يعلم، ربما تكون قصة المئات»[٤١]. أطلق على خطبة هذه الجمعة (الداء والدواء). وقد كان محجمًا عن انتقاد أخطاء الدولة، ليس فقط منذ بداية الأزمة ولكن منذ تولي النظام الحالي الحكم. ركز اليعقوبي على أن جذور المشكلات التي قادت المتظاهرين للنزول إلى الشارع تعود لعشر سنوات مضت، ملمحًا لفشل الربيع الدمشقي عندما حطمت حكومة بشار الأسد الطموحات الديمقراطية للشعب. بالنسبة لليعقوبي، فإن الأمور قد وصلت لمرحلة اللاعودة نظرًا للإسراف في استخدام العنف.

«أيها الإخوة، كانت المشكلات فيما مضى في العشر سنوات السابقة يمكن أن تحل فيما بين الشعب والحكومة. فمشكلة الفقر تحل بزيادة الرواتب. وقد بدأ الحل. ومشكلة البطالة تحل بتوفير فرص للعمل. مشكلة الحرية تحل بإطلاق ألسنة الخطباء وأقلام الكتاب في الصحف. ولكن الأزمة اليوم وصلت فيما بين الحكومة والشعب إلى حد لا يمكن معه ربما الحل. فقد وصلت إلى إراقة الدماء. من أين يؤتى بهذه الأرواح البريئة لتحيا من جديد؟ الفقير ترضيه بزيادة المعاش. والمضطهد ترضيه بإطلاق سراحه من السجن أو بإطلاق قريبه. ولكن كيف يتم إرضاء ذلك الذي مات ولده؟ أو قتل بقناص؟ وكيف يتم إرضاء ذلك الجندي الذي قتل على يد قناص؟ وكيف يتم إرضاء ذلك المتظاهر الذي خرج عاري الصدر لا يحمل أيَّ سلاح، فإذا برصاصة تصيبه تُرْدِيه قتيلاً؟ أو بذلك الذي حمل إلى المستشفى جريحًا وإذا به يقتل داخل المستشفى على سرير المداواة؟ كيف يمكن أن تداوى هذه الجروح؟»[٤٢].

تمامًا مثل الرفاعي وراجح، دافع اليعقوبي عن حق الشعب في التظاهر، مؤكدًا على ضرورة ألا تقود التظاهرات إلى (الفتنة). وأنهى خطبته مؤكدًا على:

(٤١) الخطبة بالكامل متاحة على الرابط التالي، انظر: «أحداث سورية: الداء والدواء الشيخ محمد اليعقوبي»، https://www.youtube.com/watch?v=o7Ozu1xDlgM

(٤٢) المصدر السابق.

١- سحب الدبابات والقوات المسلحة من الأحياء السكنية ومن حول المدن.
٢- إطلاق سراح المسجونين السياسيين ومسجوني الرأي منذ الثمانينيات وحتى الآن.
٣- السماح لجميع المبعدين خارج البلاد بالعودة، ذاكرًا (الإخوان المسلمين) صراحة.

في نهاية صلاة الجمعة، قام اليعقوبي بأداء صلاة الغائب على أرواح شهداء هذا الأسبوع. على عكس أداء البوطي الأسبوع الذي سبقه، صلاة اليعقوبي لم تبعث برسالة مختلطة. فبالنسبة لليعقوبي، النظام كان السبب المباشر في مظلمة الشعب، ومسئولاً عن العنف. قتل مواطنيه بغير حق، وبذلك فقد استحقوا أن يكونوا شهداء.

كنتيجة لهذه الخطبة، عزل اليعقوبي من منصبه في الثاني عشر من مايو ومنع من الخطابة والحديث العام. وهذا الأمر لم يكن بالجديد على اليعقوبي. ففي العام الذي سبقه، كان قد حدث بينه وبين حسون خلافٌ عام حول تعليقات حسون التي اعتبرها العديدون مخالفة لتعاليم الدين الإسلامي. تحدث حسون - إلى وفد من المركز العالمي للديانات والدبلوماسية وحل النزاعات التابع لجامعة جورج ميسن - قائلاً: «لو أن النبي محمد طلب مني عدم الإيمان باليهودية أو المسيحية، لكنت لم أؤمن بمحمد». وقال أيضًا: «لو أمرني محمد بقتل أحد، لكنت قلت له أنت لست بنبي». نزل تقرير عن هذا الاجتماع في مجلة القدس العربي، وغُطِّيَ بكثافة في الإعلام العربي وحتى الإسرائيلي[٤٣]. قوبلت هذه التصريحات باستهجان قوي من علماء الشرق الأوسط بما فيهم القرضاوي والبوطي. أقوى نقد وجهه لحسون في هذا الإطار كان من اليعقوبي الذي ألقى خطبة طالبه فيها بالاستقالة من منصبه. كنتيجة لذلك، أوقف اليعقوبي من إلقاء الخطب ثم أعيد مرة أخرى بعدها بفترة قصيرة ولكنه حرم من التدريس. وبهذا فقد اكتسب اليعقوبي شهرة واسعة، بعد منعه من إلقاء خطبة الجمعة.

غادر اليعقوبي دمشق متجهًا إلى مصر، ومنها إلى المملكة المتحدة. وكان له نشاط واضح في اجتماعات المعارضة بمؤتمر الإنقاذ الوطني السوري في استانبول. ثم استقر في المغرب. في سبتمبر ٢٠١١، بثت قناة الجزيرة حلقة من برنامج (الشريعة والحياة) حول الثورات العربية؛ عنوانها: الثورة:

(٤٣) Haaretz Service, "Syria's Mufti: Islam Commands Us to Protect Judaism", *Haaretz*, https://www.haaretz.com/news/syria-s-mufti-islam-commands-us-to-protect-judaism-1.265712.

فتنة أم رحمة؟ قدم القرضاوي الحلقة من الاستوديو في حين قام اليعقوبي بمداخلة مختصرة عن طريق الهاتف، والتي أفتى فيها بوجوبية وإلزامية الخروج على الإمام الجائر(٤٤). وفوق ذلك، أوضح اليعقوبي أن علماء سوريا الصامتين في مواجهة نظام الأسد قد يكونوا معذورين بسبب الضغط الهائل الواقع عليهم. وعلى العكس، بخصوص العلماء الذين تحدثوا دفاعًا عن الدولة ومفضين الشرعية على أفعالها، وضعهم اليعقوبي في نفس منزلة الذنب التي تلحق بالدولة لما اقترفته من قتل وجور. إيماءته على حسون لم تكن بالخفية على أحد. ثم اختتم مداخلته بتناول إشكالية مفهوم الفتنة. فالسنة دائمًا ما اعتقدوا أن الحرب الأهلية تمثل لعنة، ولكن بحسب اليعقوبي، فإن هذه الحالة لا تنطبق على الموقف السوري، قائلاً:

«أحاديث الفتن وما جاء في كلام النبي ﷺ في الفتنة العمومية هي التي لا يعرف فيها الحق من الباطل. أما هذا الحق والباطل ظاهر الآن. الحق والباطل ظاهر. والعدل من الظلم، والبريء من الظالم هذا معروف مشهور. وإعانة الظالم حرام ونصرة المظلوم واجب شرعًا»(٤٥).

مع تطور أحداث الانتفاضة، موقف اليعقوبي كشاهد أخلاقي سرعان ما فسح المجال للاستهجان الأخلاقي على العنف المتصاعد والمستمر. من مكانه مستقرًا خارج سوريا، معارضة اليعقوبي للدولة - والذي أقر بوضوح بعدم شرعيتها - اتخذت شكل الخطابات التي تشرعن وتوجب التظاهر ضد النظام. القليل من علماء دمشق اتخذوا نفس الموقف المعارض للدولة. نجاحات الربيع العربي في ذلك الحين شجعت البعض على تبني مثل تلك الاستراتيجيات. ولكن بالنسبة لليعقوبي، فإن النظام لم يترك له خيارًا آخر.

(٤٤) المداخلة متاحة على الرابط التالي، انظر: «مداخلة الشيخ محمد اليعقوبي - الشريعة والحياة ١٢ سبتمبر ٢٠١١»، *YouTube*, https://www.youtube.com/watch?v=bxwASCphFUk

(٤٥) المصدر السابق.

تطـورات عـام ٢٠١١

الصفحات الفائتة وثقت للتطورات الحادثة بين علماء دمشق خلال الأسابيع الأُوَل من بدء الثورة السورية. عبر السنة الأولى من الثورة، أدلى العديد من العلماء داخل سوريا وخارجها بدلوهم حول الثورة، وفعليًّا جميعهم أدانوا استخدام العنف[٤٦]. خلال هذه الفترة، المواقف التي اتخذها العلماء – كما وضحنا سابقًا – اختلفت إلى حد كبير. أسهم استخدام العنف الجامح ضد المتظاهرين في تغليظ مواقف علماء كالرفاعي وراجح. فخطابهم تحول من الضغط على النظام لوقف العنف وإجراء إصلاحات إلى استهجانٍ كليّ ومطالبة بتغيير النظام. هذا التحول، حدث مبكرًا إلى حد كبير مع اليعقوبي.

منع العلماء الذين بقوا في سوريا – مثل الرفاعي وراجح – من الخطابة العديد من المرات خلال العام. بينما أسكت تمامًا الخطيب بعد إطلاق سراحه من شهر الاحتجاز الذي قضاه في يونية. ربما أكثر العلامات الدالة على إحباط النظام من الرفاعي وراجح ظهرت في رمضان ٢٠١١. استمر العنف خلال الشهر المبارك، وفي ليلة السابع والعشرين من رمضان المباركة هاجم شبيحة النظام مسجد الرفاعي. أطلق الرصاص المطاطي على المتظاهرين وعاث الشبيحة بالمسجد وجرح الرفاعي.

نبذ البوطي وحسون بشدة وأصبحا هدفًا للنقد العنيف من العديدين داخل سوريا ومن المتعاطفين مع المتظاهرين خارجها. أصبح حسون أقرب للدولة بعد مقتل ابنه ذي الاثنين والعشرين عامًا في محافظة إدلب في الثاني من أكتوبر. مقتل ابنه استخدم من قبل النظام لادعاء التضحية وتبرير العنف كنوع من أنواع الدفاع عن النفس. وفوق ذلك، بعض تصريحات القوى الأجنبية (مثل دور الناتو في ليبيا في بداية عام ٢٠١١) التي تساند المتظاهرين في الإطاحة بالنظام استفزت المفتي للتصريح بأن سوريا ولبنان سوف ترسل أبناءها وبناتها للقيام بعمليات استشهادية في أوروبا وإسرائيل[٤٧]. واجه البوطي انتقادًا قاسيًا من عامة السوريين ومن العلماء

(٤٦) من الهام ذكر أن الشيخ السلفي عدنان العرعور – المقيم بالرياض، المملكة العربية السعودية – نادى عبر برنامجه التليفزيوني بالثورة المسلحة ضد نظام الأسد العلوي. عالم سوري آخر مقيم بالسعودية، الشيخ محمد علي الصابوني – إلى حد قريب من نهج المعارضة للشيخين الرفاعي وراجح – تحدث عبر اليوتيوب ومن خلال مداخلاته على قناة الجزيرة معارضًا الحملات الأمنية، ومتهمًا البوطي وحسون بالنفاق وبأنهم (علماء السلطان). وأثنى على حقوق المتظاهرين.

(٤٧) "Mufti of Syria Ahmad Badr Al-Din Hassoun Threatens to Activate Suicide Bombers in Europe and the U.S.", *MEMRI*, https://www.memri.org/tv/mufti-syria-ahmad-badr-al-din-hassoun-threatens-activate-suicide-bombers-europe-and-us.

الآخرين لتشويهه المستمر لسمعة المتظاهرين وإصراره العنيد على ترديد الرواية الرسمية للأحداث. في أواخر يونية، أفتى بعدم جواز التظاهر، وقوبلت فتواه بسخرية المتظاهرين.

مما سبق يتضح أن العلماء الذين كانوا جزءًا من جهاز الدولة – سواء رسميًّا كحسون، أو بشكل غير رسمي كالبوطي – لو كانوا قادرين على التباري مع الدولة. بالوقوف على ذلك، يمكننا الإشارة إلى الشيخ إبراهيم السلقيني مفتي حلب الذي حذر الرئيس الأسد – عندما تصاعدت الأحداث في مصر وتونس – بنقل آثار الربيع العربي إلى سوريا، ونصحه بأخذ خطوات استباقية لتجنب الفتنة الطائفية. في أغسطس، أصدر السلقيني وعلماء آخرون من حلب بيانًا منددين فيه بفظاعات الحكومة خلال التظاهرات. بالإضافة إلى ذلك، فقد ألقى سلسلة من الخطب مستهجنًا فيها بأقوى الألفاظ التصعيد الحادث طوال الصيف. توفي السلقيني في السادس من سبتمبر تحت ظروف تحيطها الريبة معتقدين أن زيارة أفراد المخابرات الأخيرة له خلال مرضه ساهمت في وفاته. فرغم كونه مفتي حلب، فإن السلقيني تحدى أفعال الدولة[٤٨].

التركيز على المساجد وخطب الجمعة في الصفحات السابقة، لا يعني اقتراحي أن المتظاهرين كان جميعهم بالضرورة أناسًا متدينين. فبالرغم من الانتقادات التي طالت البوطي، فإنه شرح – وبدقة – الاستخدام الأداتي للمساجد. فمع اكتساب المتظاهرين جرأة أكبر وانتشارهم، لم تعد المساجد تمثل نقطة الانطلاق الرئيسية للتظاهرات، ومواقع أخرى ظهرت إلى جانبها كالساحات العامة والأسواق. وفوق ذلك، يبدو أن العلماء فقدوا قدرتهم (أو ربما لم يملكوا يومًا القدرة) على قيادة التظاهرات أو إرشادها، خاصة بعد ظهور الجيش السوري الحر والجماعات المشابهة. عدم تفاعل المتظاهرين مع الهجوم على الرفاعي الحادث في رمضان يقترح عدم قدرة العلماء على وضع أنفسهم كرموز أو قادة للتظاهرات. أخيرًا، هناك العديد من التفاعلات بين العلماء والنظام تحتاج للأخذ في الاعتبار عند كتابة تاريخ هذه الأحداث، خاصة في المدن التي كانت فيها التظاهرات والحملات الأمنية على أشدها.

(٤٨) Roula Hajjar and Ellen Knickmeyer, "Syria: Death of Popular Sunni Cleric Stirs Unrest in Aleppo", Los Angeles Times, http://latimesblogs.latimes.com/babylonbeyond/2011/09/syria-aleppo-sunni-cleric.html; Thomas Pierret, "Le décès du Mufti d'Alep, coup dur pour l'opposition syrienne", *Le Club de Mediapart*, https://blogs.mediapart.fr/thomas-pierret/blog/080911/le-deces-du-mufti-dalep-coup-dur pour-lopposition-syrienne.

أفكار ختامية

ختامًا، يمكن التقاط ملاحظات قليلة من الروايات المذكورة سابقًا. فقد اتخذ علماء دمشق مواقف متنوعة في مواجهة التغيير الحادث، والذي شكلته القيود المفروضة من قبل النظام. الصمت كان الموقف الأبرز الذي تبناه علماء دمشق. فكما أوضح اليعقوبي أن العديدين اتخذوا هذا الموقف نتيجة للضغط الهائل الذي مورس عليهم من قبل الدولة. هناك آخرون ممن يهتدون بتعاليم الإسلام فسروا الأحداث على أنها (فتنة). وفقًا للحديث النبوي: القاعد فيها خير من القائم.

ممارسة (النصيحة) – على العكس من مبدأ الصمت – اتخذها البعض كالتزام أخلاقي على الأقل لا تبقيهم في موقف الملاحظ الصامت. فهي تمثل طريقة للتفاعل مع الدولة عن طريق النقد الأخلاقي، ولا تضع ممارسها في مواجهة مباشرة مع الدولة. في حالة الرفاعي، راجح، واليعقوبي. كلهم قاموا بإلقاء النصيحة على الملأ. علاقة النصيحة العامة بالمتظاهرين تتسم بالتعقيد. فبينما لا تفسر النصيحة على أنها نداء صريح بالتظاهر، مثلت مساجد الرفاعي وراجح مركزًا للعصيان المدني في دمشق. فالتبعات الغير مقصودة للنصيحة العامة في نظام سلطوي أدت لتغذية التظاهرات؛ حيث قمعت حرية الرأي لعقود، التحدث عن آراء الجموع علنًا تحول إلى تجمع غير مقصود. بهذه الطريقة، غذت النصيحة المعارضة بينما ظلت بعيدة عنها. فالرفاعي وراجح واليعقوبي لم يشاركوا في أيِّ تظاهرات أو قادوا أيًّا منها.

ممارسة (النصيحة) أيضًا يمكن أن يتم سرًا. كما ذكر البوطي في دروسه، مؤكدين على أنه كان قد قام بها. هذا يتضمن خيارًا ثالثًا للتفاعل مع نظام سلطوي، عن طريق التعامل البرجماتي مع الدولة. وكما رأينا، هناك اختلاف في طريق التناول أيضًا. فقد عمل علماء مثل حسون كجزء من النظام، في حين أن آخرين مثل البوطي اتخذوا علاقة أكثر تعقيدًا. فرغم وقوفه بعيدًا عن الجهاز الرسمي للدولة، كان له نفوذ بداخله. استغل هذا النفوذ لتأمين بعض الحقوق الدينية مثل: حظر الكازينوهات، حرية التعبير الدينية وما إلى ذلك. لذا، فإن العمل مع جهاز الدولة لا يعني عدم قدرة العلماء على العمل من أجل التغيير. فكما أشرنا مسبقًا، السلقيني – مفتي حلب – كانت له مجهودات كبيرة لحث النظام على تغيير أفعاله، بينما كان لا زال في موقعه كمسئول حكومي.

القيود التي وضعتها الدولة على العلماء لا يمكن التأكيد عليها بشكل كافٍ. فأسكت بعض العلماء مثل الخطيب بسبب هذه القيود، بينما اليعقوبي – الذي لا يمكنه تقبل هذا المصير – أجبر على ترك سوريا. العلماء المبعدون عن سوريا مثل اليعقوبي والقرضاوي قادرون أكثر على أن يكونوا هادمين ووقحين في هجومهم على الدولة. إضافة إلى ذلك، فإن هناك سلسلة أخرى من القيود مثل القيود الخطابية المتعلقة بتقاليد تعليمية إسلامية معينة، والتي التزم بها العلماء.

يجب التذكير بأن هذه الخيارات الثلاث (الصمت – التفاعل البرجماتي – المعارضة والشهادة الأخلاقية) ليست مقتصرة فقط على العلماء. فقبل أن يصل الربيع العربي لسوريا بعقد من الزمان، تم استخدام الخيارات الثلاث في الربيع الدمشقي المجهض، وإن لم يلبس عباءة الدين حينذاك[٤٩]. في السابع والعشرين من سبتمبر عام ٢٠٠٠، نشر تسعة وتسعون شخصية عامة بارزة في المجتمع السوري بيانًا عرف بـ (بيان الـ ٩٩). تناول هذا البيان فعليًّا نفس موضوعات الربيع العربي (ما أشار إليه اليعقوبي في خطبته الأخيرة). قدم البيان بثلاث فقرات، ثم قائمة بأربعة مطالب (إنهاء العمل بقانون الطوارئ، والعفو عن السجناء السياسيين، والسماح للمبعدين والمنفيين بالعودة للبلاد، والحماية القانونية لـحرية التعبير وحرية التجمع، وحياة عامة خالية من القوانين والقيود ومختلف أشكال المراقبة المفروضة عليها)، ثم اختتم بفقرة واحدة. النبرة المستخدمة خلال ذلك كانت تصالحية وآملة. والبيان لم يدعُ لتظاهرات، ولكن لزيادة المجتمع المدني وانتشار التجمعات غير الرسمية والمناقشات حول مستقبل سوريا السياسي في الدولة. وظهر اقترابان مميزان للنقاشات المستتبعة: **أحدهما**: سعى لإشراك النظام كحليف تكتيكي، والذي قد يعمل نحو إصلاح تدريجي. **ثانيهما**: الاقتراب الآخر كان أكثر اتساقًا مع بيان ال ٩٩ حيث اتخذ موقف مواجهة مع النظام مستندًا على قناعة أن النظام غير قادر على الإصلاح. في يناير عام ٢٠٠١، أُطلق بيان ثاني سُمي بـ (بيان ال ١٠٠٠)، والذي عكس الاقتراب الثاني. قدم هذا البيان بمقالة تحاكي كيف أن المجتمع المدني دمر في سوريا متهمًا حافظ الأسد بذلك، والبيان استخدم ألفاظًا قوية في صياغته للمطالب. كتابة هذا البيان تم بين نشطاء المجتمع المدني السوريين وطال إطلاقه جدل واسع النطاق، خاصة

(٤٩) Flynt Leverett, *Inheriting Syria: Bashar's Trial by Fire* (Washington, DC: The Brookings Institution Press, 2005): 91-94, 203-212.

مع تسريب صحيفة لبنانية نص الوثيقة قبل توقيع كل الأسماء عليها. ومن ثم حول النظام الربيع الدمشقي لشتاء ممطر. فالخطوات القليلة نحو الليبرالية التي اتخذها نظام بشار الأسد رجعت للخلف وسجنت كل الأصوات المعارضة. الاختلافات بين الربيع الدمشقي والربيع العربي عديدة. ولكن يتقاطع كلاهما من حيث إن كلاً من العلماء ونشطاء المجتمع المدني استخدما نفس الأساليب للتفاعل مع النظام.

إذا انهارت القلعة
أيديولوجية الثورة السورية وأهدافها

تحرير

مركز الدراسات الدينية والجيوسياسية بالمملكة المتحدة

ترجمة

محمد عوض

مراجعة الترجمة

خلود سعيد

إذا انهارت القلعة
أيديولوجية الثورة السورية وأهدافها*

ترجمة: محمد عوض
مراجعة الترجمة: خلود سعيد

ملخص إجرائي
الانتظار في الصف: جهاديو سوريا على استعداد لاستكمال ما بدأته داعش

كشف بحث صادر من مركز الدين والجغرافيا السياسية عام ٢٠١٥ أن سوريا بعد خمس سنوات من الانتفاضة العلمانية في الشرق الأوسط المعروفة بـ «الربيع العربي» تحتضن أكبر تجمع للجماعات الجهادية في العصور الحديثة.

لا يأخذ التركيز الحالي على الهزيمة العسكرية لداعش في الاعتبار الجماعات الأخرى في سوريا (وغيرها حول العالم) بما لها من الأيديولوجية العالمية نفسها، والطموح نفسه. وقد حدد هذا البحث خمس عشرة جماعة جهادية على استعداد لخلافة داعش، وجميعها ذات أيديولوجية سلفية جهادية: وهي أيديولوجية دينية – سياسية عابرة للقوميات تقوم على الاعتقاد في الجهاد العنيف كوسيلة لفرض العودة إلى تصورهم عن الإسلام في عصر التابعين الأوائل للنبي محمد.

تصدمنا أفعال داعش الوحشية والمرعبة، ولكن داعش ليست فقط «طائفة للموت»؛ فهي تُمثِّل استمرارًا لطريقة تفكير بدأت حتى قبل وجودها، وستستمر في حال هزيمتها. بالتركيز على داعش وحدها، يخاطر الغرب باقتراف فشل استراتيجي؛ فهزيمتها عسكريًّا لن تنهي الجهادية العالمية. لا يمكننا قصف أيديولوجية، فحربنا فكرية في المقام الأول.

في حالة هزيمة داعش وحدها، هناك مخاطرة كبيرة أن مقاتلي داعش وغيرها من الجماعات الجهادية سيوسعون من نطاقهم ويبدأون هجمات خارج سوريا. وسيصبح النداء الجديد للم الشمل هو «الغرب دمر الخلافة». وستسعى هذه الجماعات – في تصعيدٍ خطير – إلى التنافس على دائرة الضوء؛ لاكتساب ولاء المقاتلين حول العالم واستجلاب التمويل الذي تجتذبه داعش في الوقت الحالي.

* صدر النص أولاً باللغة الإنجليزية عن مركز الدراسات الدينية والجيوسياسية بالمملكة المتحدة في ديسمبر ٢٠١٥.

بعد عامين من ترحيله من المملكة المتحدة، برزت أفكار أبو قتادة؛ أحد القادة الأيديولوجيين في تنظيم القاعدة، في مجلة «الرسالة» الناطقة بالإنجليزية والصادرة عن جناح التنظيم في سوريا.

يُقدِّم التقرير عرضًا لهذه الجماعات وأيديولوجياتها وأعضائها وتحالفاتها. فخلال عدة أشهر، تتبع فريقنا مجموعة من المصادر للخروج بما يمكن أن نعتبره التحليل الأكثر تفصيلاً للجماعات الجهادية والمعارضة في سوريا [حتى ديسمبر ٢٠١٥].

النتائج الرئيسية

- ٦٠٪ من الجماعات المعارضة الرئيسية في سوريا هي جماعات إسلامية متطرفة.
- ما لم ينتهِ الأسد، ستستمر الحرب السورية وتنتشر على نطاقٍ أوسع.
- لا يمكننا تقسيم المعارضة في سوريا إلى متطرفين ومعتدلين.
- التراخي العالمي يؤدي إلى ازدياد التطرف.
- إذا هزمنا داعش، تقف ١٥ جماعة في طابور الانتظار.

١- ٦٠٪ من الجماعات المعارضة الرئيسية في سوريا هي جماعات إسلامية متطرفة

أظهرت دراستنا لثمانٍ وأربعين من فصائل المعارضة في سوريا أن ٣٣٪ من الجماعات - أي ما يقارب ١٠٠ ألف مقاتل- تتبع الأيديولوجية نفسها التي تعتمدها داعش. وإذا ما أخذنا في الاعتبار الجماعات الإسلامية (تلك التي تسعى إلى دولة يحكمها تصورهم الخاص عن الشريعة الإسلامية)، ترتفع هذه النسبة إلى ٦٠٪. تتضمن هذه الجماعات الإسلامية منظمات مثل كتيبة الإمام البخاري؛ وهي جماعة جهادية أوزبكية عابرة للقومية تعهدت بالولاء إلى الملا عمر؛ القائد السابق بجماعة طالبان، عام ٢٠١٤.

وفي الوقت ذاته، وعلى خلاف السلفية الجهادية أو الإسلاميين، فإن ٢٣٪ فقط من الجماعات المسلحة في العينة لديها أيديولوجية غامضة أو غير محددة. فهذه الجماعات - التي غالبًا ما تكون تابعة للجيش السوري الحر- معروفة بأهدافها وليس أيديولوجيتها. وعلى الرغم من ذلك، فإن

العديد منهم على استعداد للقتال إلى جانب المتطرفين، وقد يقبل على الأرجح بتسوية سياسية إسلامية للحرب الأهلية.

أما باقي الجماعات في العينة فكانت ذات قومية كردية، أو جماعات حماية عرقية أو دينية، أو قبيلة تتبع أيديولوجيات متغيرة أو غامضة. وغالبًا ما تتحالف جماعات الحماية الأصغر مع جيرانها الأكبر والأقوى، فعلى سبيل المثال، يقع المجلس العسكري السرياني؛ وهو جماعة حماية للمسيحيين الآشوريين في شرق سوريا، تحت قيادة قوات الدفاع الشعبي الكردستاني، بينما يتمسك في الوقت ذاته بهويته المنفصلة.

وتتغير هذه التحالفات بانتظام وفقًا للأهداف قصيرة المدى والأحداث الخارجية. فعلى سبيل المثال، أثَّر اندلاع العنف بين تركيا والانفصاليين الأكراد وحزب العمل الكردستاني في عمليات قوات الدفاع الشعبي الكردستاني في سوريا.

ملف جماعة جيش الإسلام

تجمع من الفصائل السلفية يقوم بعمليات في دمشق، ويعتبر أكبر جماعات المعارضة السورية في المنطقة[١].

يُسيطر على الغوطة بالقرب من دمشق، والتي استهدفها النظام بغارات بالسلاح الكيماوي في عام ٢٠١٣[٢].

وصف جبهة النصرة بأنهم «إخوتنا»، وصرح قائلًا: «إننا لا نعتبرهم خوارج كما أشيع عنا، نحارب إلى جانبهم، ويحاربون إلى جانبنا».

يُزعم أنها استخدمت مدنيين في أقفاص كدروعٍ بشرية لدرء هجمات سورية وروسية[٣].

ظهر فيديو وحشي في يوليو ٢٠١٥ يشير إلى «انقلاب تكتيكات داعش عليها»؛ حيث أُعدم ١٨ عضوًا من الجماعة وهم يرتدون الحلل البرتقالية نفسها التي عادةً ما يرتديها ضحايا داعش[٤].

(١) "Syrian Army 'Tightens Siege' of Rebel Bastion Near Damascus", *Al Arabiya English*, http://english.alarabiya.net/en/News/middle-east/2015/05/03/Syria-army-tightens-siege-of-rebel-bastion-near-Damascus-monitor.html.

(٢) Hadeel Oueiss, "The Rebel Commander of Damascus", *The Daily Beast*, http://www.thedailybeast.com/articles/2015/12/15/the-rebel-commander-of-damascus.html.

(٣) Thomas Joscelyn, "Syrian Rebels Use Caged Civilians, Fighters to Deter Airstrikes", *Threat Matrix*, http://www.longwarjournal.org/archives/2015/11/syrian-rebels-use-caged-civilians-fighters-to-deter-airstrikes.php.

(٤) Adam Withnall, "Isis Rivals Jaysh al-Islam 'Turn Militant Group's Tactics Against Them' in a Mass Execution Video", *Independent*, http://www.independent.co.uk/news/world/middle-east/isis-rivals-jaysh-al-islam-turn-militant-groups-tactics-against-them-in-mass-execution-video-10357957.html.

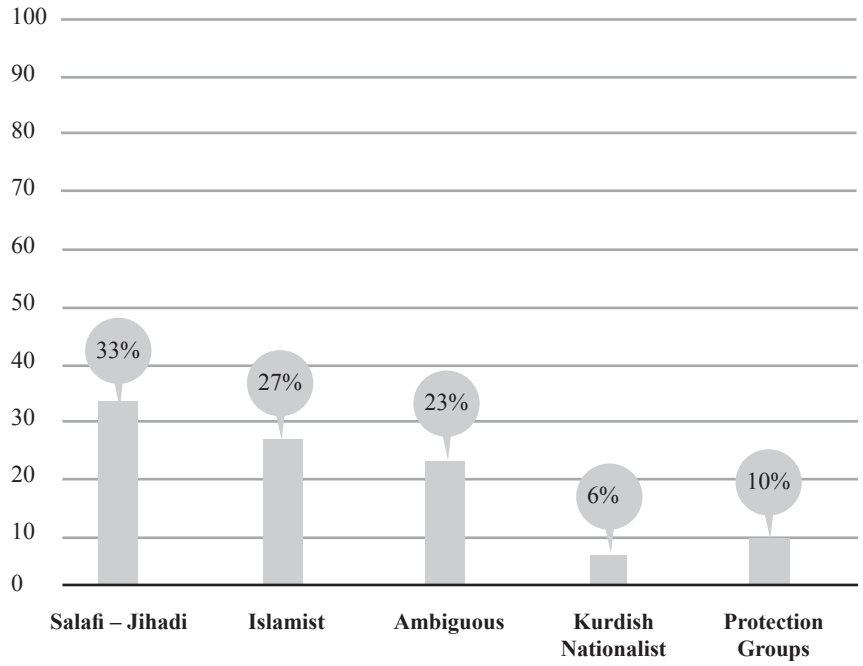

(شكل ١-١)

توزيع الجماعات وفقًا للأيديولوجية، وبنسبة جماعات المعارضة التي تمت دراستها.

Divisions of Groups by Ideology

Salafi – Jihadi	Islamist	Ambiguous	Kurdish Nationalist	Protection Groups*
Ahrar Al-Sham	19th Division	18th March Division	Jabhat Al-Akrad	Al-Sanadid Forces
Ajnad Kawkaz	Asalah Wal Tanmiya	Dawn of Freedom	YPG	Al-Shaitat
Ajnad Sham Islamic Union	Durou Al-Thawra	Brigades	YPJ	Seljuk Brigade
Ansar Al-Sham	Faylaq Al-Rahman	Division 13		Syria Military Council
Fastaqim Kama Umirta	First Coastal Division	Fursan Al-Haqq		Syrian Turkman Brigades
Harakat Nour Al-Din Al-Zenki	Imam Bukhari Jamaat	Jaish Al-Nasr		*Represents Tribal, Ethnic, and Religious Protection Groups and Militias
ISIS	Jaish Al-Sunna	Liwa Thuwwar Al-Raqqa		
Jabhat Al-Nusra	Liwa Al-Tawhid	Martyrs of Syria Brigade		
Jaish Al-Islam	Liwa Muhajirin Wal-Ansar	New Syria Forces		
Jaish Al-Jihad	Martyrs of Islam Brigade	Northern Sun Battalion		
Jund Al-Aqsa	Sham Legion	Revolutionary Army		
Khorasan Group	Tajammu Al-Ezza	Yarmouk Army		
Kurdish Islamic Front				
Liwa Al-Haqq				
Liwa Al-Umma				
Turkistan Islamic Party				

(جدول ١-١)

توزيع الجماعات وفقًا للأيديولوجية (باستثناء التحالفات).

*تُمثِّل جماعات الحماية والميليشيات القبلية والعرقية والدينية.

٢- ما لم ينتهِ الأسد، ستستمر الحرب السورية وتنتشر على نطاقٍ أوسع

يشير تقدير الأهداف المتعددة- والمتضاربة أحيانًا- للجماعات محل البحث إلى طموح عاطفي واحد هو هزيمة نظام بشار الأسد؛ حيث تتمسك ٩٠٪ من الجماعات بالإطاحة بالأسد كهدف رئيسي. تُوضِّح هذه النتيجة أنه لا يمكن عقد اتفاق سلام يُبقي الأسد في السلطة. بدأت الحرب الأهلية السورية بهدف الإطاحة بالأسد. وقد أقرت جماعات من كافة الأيديولوجيات التي درسناها بأن هدفها هو هزيمته. وطالما يُركِّز الغرب على داعش أكثر من تركيزه على القوى الدافعة للصراع والتي يستغلها التنظيم، سيستمر المتطرفون في استخدام هذا في التجنيد، في حين أن الجماعات الأقل تطرفًا ستسعى لطلب المساعدة في تنفيذ أهدافها حيثما وجدت سبيلاً.

كانت هزيمة داعش هدفًا مشتركًا لـ ٣٨٪ من جماعات العينة؛ وتراوحت بين جماعات السلفية الجهادية التي تسعى للاستيلاء على سلطة داعش، وجماعات الحماية القبيلة والدينية والعرقية التي تُمثِّل مجتمعات تحت تهديد الخلافة المزعومة.

أما ثاني الأهداف غلبة على العينة فكانت إقامة نوع من الشريعة الإسلامية، فقد مثَّل هذا الهدف قاسمًا مشتركًا على نطاقٍ واسع من الجماعات، والتي تضمنت السلفية الجهادية، والإسلاموية، والفصائل غير واضحة الأيديولوجية. وعلى الرغم من أن رؤيتهم لتطبيق الشريعة الإسلامية لم تتضمن وسائل محددة، فإن الجماعات السلفية الجهادية تسعى إلى تفسير منفرد للدولة في الشريعة الإسلامية يعتمد على القراءة الحرفية للنصوص. أما الإسلاميون فيرغبون في دورٍ مهيمن للشريعة الإسلامية في مجالات القانون والسياسة والاقتصاد. بينما الجماعات الأخرى فتأمل في اتباع النظم القانونية للغالبية المسلمة، والتي تعتمد الشريعة كمبدأ مرشد للنظم التشريعية.

انقسمت العينة فيما يخص هدفين؛ إقامة دولة إسلامية (غالبًا عابرة للقوميات)، وهو الهدف الذي دعمته نسبة ٣٣٪، وإقامة نظام ديمقراطي في سوريا، وهو الهدف الذي دعمته نسبة ٣٨٪ من العينة. ولم يظهر أي تداخل في العينة بين الهدفين. وجاءت معظم الجماعات التي دعمت هدف إقامة دولة إسلامية من الجماعات السلفية الجهادية، بينما كانت الغالبية العظمى من الجماعات التي دعمت الديمقراطية، غير محددة الأيديولوجية. مع العلم أن بعض الجماعات الإسلامية قد دعمت كلا الهدفين.

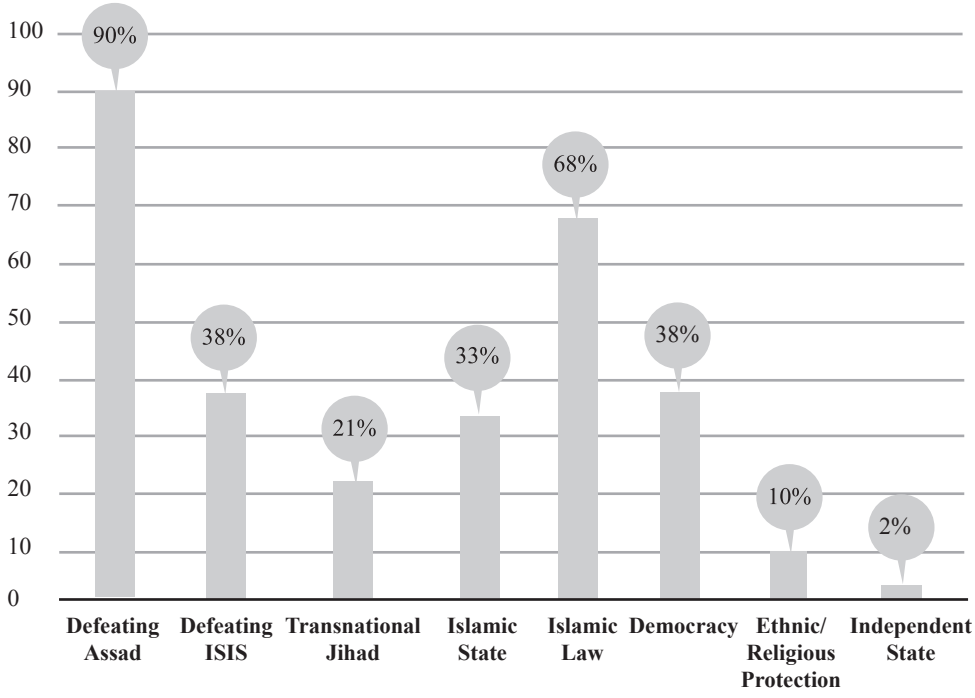

(شكل ٢-١)

أهداف الجماعات

بنسبة جماعات المعارضة في العينة (الأهداف متداخلة ولا يتم تنسيبها ككل لـ ١٠٠٪).

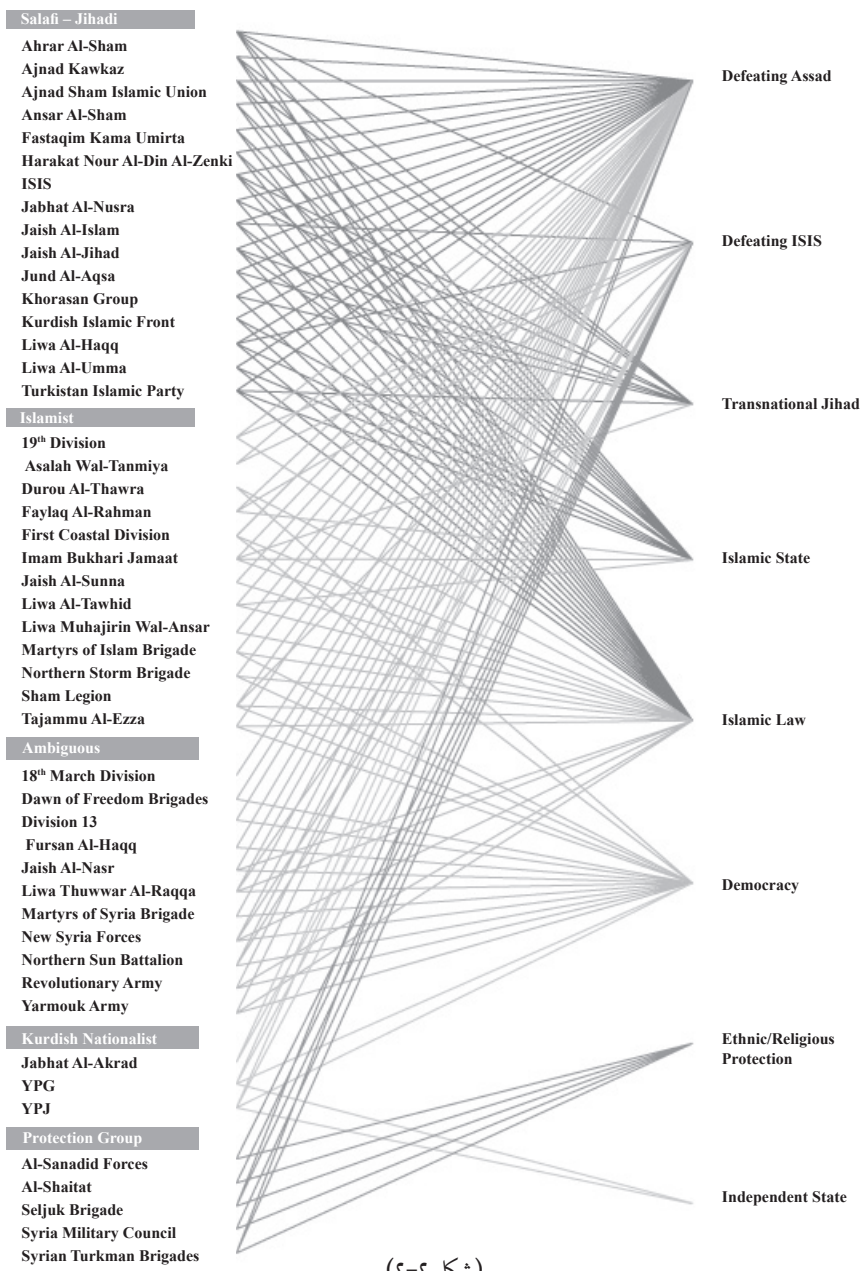

(شكل ٢-٢)
الأهداف المتداخلة للجماعات.

٣- لا يمكننا تقسيم المعارضة في سوريا إلى متطرفين ومعتدلين

عندما تتداخل الأهداف قصيرة أو طويلة المدى، تتكون التحالفات بين الجماعات بغض النظر عن الأيديولوجية. بطول البلاد يقاتل الإسلاميون وغيرهم داعش والأسد جنبًا إلى جنب. يهيمن على جنوب غرب البلاد تحالف جبهة الجنوب بقوة ٣٠ ألف مقاتل. ويحشد جيش الفاتح؛ وهو ائتلاف تقوده القاعدة ويسعى لإقامة دولة إسلامية، جماعات الإسلاميين والسلفية الجهادية والجماعات غير واضحة الأيديولوجية. وفي الشرق يقاتل القوميون السوريون بجانب الانفصاليين الأكراد (في تحالف القوى الديمقراطية السورية) داعش. كما تنتشر جماعات أخرى بطول سوريا، يقاتلون بعضهم البعض في مكانٍ ما، بينما ينتظم أعضاؤهم في تحالفات في مكانٍ آخر.

كل هذا يُظهِر أن أي محاولة من القوى الدولية للتفريق بين المعتدلين المقبولين والمتطرفين المنبوذين هي محاولة معيبة؛ فلا يوجد أي حد للتداخل بينهما. ففي إحدى المعارك بجسر الشغور عام ٢٠١٥، تمَّ استخدام مقاتلي جبهة النصرة كجنود مصادمة، بغطاء من المعارضة المسلحة في الغرب[٥]. وفي الوقت نفسه، أفادت تقارير بأن الجيش السوري الحر، والمدعوم بالسلاح من الولايات المتحدة الأمريكية، كذب بخصوص تعاونه مع جبهة النصرة[٦].

لاقت المحاولات الغربية لتقسيم المعارضة إلى معتدلين ومتطرفين مشكلاتٍ متكررة. أفادت تقارير أن الولايات المتحدة الأمريكية قدَّمت دعمًا مسلحًا لأربع جماعات تضم صواريخ مضادة للدبابات[٧]؛ وهي جماعات تعتمد الأيديولوجية الإسلامية أو السلفية الجهادية: لواء المهاجرين والأنصار، وفيلق الرحمن، وحركة نور الدين الزنكي، والفرقة الأولى الساحلية. كما أن الزعم بوجود ٧٠ ألف مقاتل من المعتدلين على استعداد لدعم الهجوم الجوي الدولي ضد الدولة الإسلامية مشكوك فيه بشدة. وقد أظهرت دراسة للفصائل المحتملة التي تضمنها هذا الرقم أن ١٩ ألف ميليشيا تم تصنيفها على أنها إسلامية أو سلفية جهادية.

(٥) Milo Comerford, "Jabhat al-Nusra: Moves Towards the Mainstream?" *Centre on Religion & Geopolitics*, http://tonyblairfaithfoundation.org/religion-geopolitics/commentaries/opinion/jabhat-al-nusra-moves-towards-mainstream.

(٦) Hosam Katan, "A Free Syrian Army Fighter in Aleppo", *Newsweek*, http://europe.newsweek.com/ moderate-rebels-please-raise-your-hands-283449?rm=eu.

(٧) Hasan Mustafa, "The Moderate Rebels: A Growing List of Vetted Groups Fielding BGM-71 TOW Anti-Tank Guided Missiles", https://hasanmustafas.wordpress.com/2015/05/08/the-moderate-rebels- complete-and-growing-list-of-vetted-groups-fielding-tow-missiles/.

Groups	Fighters
Fastaqim Kama Umirta	1,000
Asalah Wal-Tanmiya	5,000
Harakat Nour Al-Din Al-Zenki	1,500
Faylaq Al-Rahman	2,000
Sham Legion	4,000
Ajnad Al-Sham Islamic Union	3,000

(جدول ٣-١)

المصدر: *The Spectator*, https://www.spectator.co.uk/

ملف جماعة خرسان

- خلية صغيرة من المحاربين القدامى في تنظيم القاعدة تقوم بعمليات في سوريا. علاقتها بجبهة النصرة غير واضحة، وتعد على الأرجح «تنظيم داخل التنظيم».
- لا يُعرف عنها سوى القليل، وإن كانت دعاية تنظيم القاعدة قد أشارت إلى جيش النصرة؛ وهو خلية صغيرة داخل جبهة النصرة تقوم بعمليات خاصة.
- أطلقت عليها المخابرات الأمريكية اسم «جماعة خراسان» نسبةً إلى إقليم تاريخي في جنوب ووسط آسيا؛ نظرًا لانتشار المقاتلين من أفغانستان وباكستان بها(٨).
- استهدفتها الهجمات الجوية الأمريكية منذ سبتمبر ٢٠١٤ لتعطيل «هجمات محتملة» على أهداف غربية، وذلك بعد تصريح من مدير الاستخبارات الوطنية جيمس كلابر أن الجماعة قد تمثل خطرًا مماثلاً لخطر داعش(٩).
- قُتِل سنافي النصر؛ سعودي الجنسية وقائد الجماعة حسب وصف وزير الدفاع الأمريكي آش كارتر، في غارة جوية على ولاية حلب في أكتوبر٢٠١٥(١٠).

(٨) Adam Taylor, "The Strange Story behind the 'Khorasan' Group's Name", *The Washington Post*, https://www.washingtonpost.com/news/worldviews/wp/2014/09/25/the-strange-story-behind-the-khorasan-groups-name/.

(٩) Dan Kedmey, "National Security: Worse than ISIS? A Primer on the Khorasan Group", *Time*, http://time.com/3421701/khorasan-al-qaeda-iraq-isis-syria/.

(١٠) Thomas Joscelyn and Bill Roggio, "US Military Confirms It Killed Senior Al Qaeda Strategist Sanafi Al Nasr in Airstrike in Syria", *FDD's Long War Journal*, http://www.longwarjournal.org/archives/2015/10/us-military-confirms-it-killed-senior-al-qaeda-strategist-sanafi-al-nasr-in-airstrike-in-syria.php.

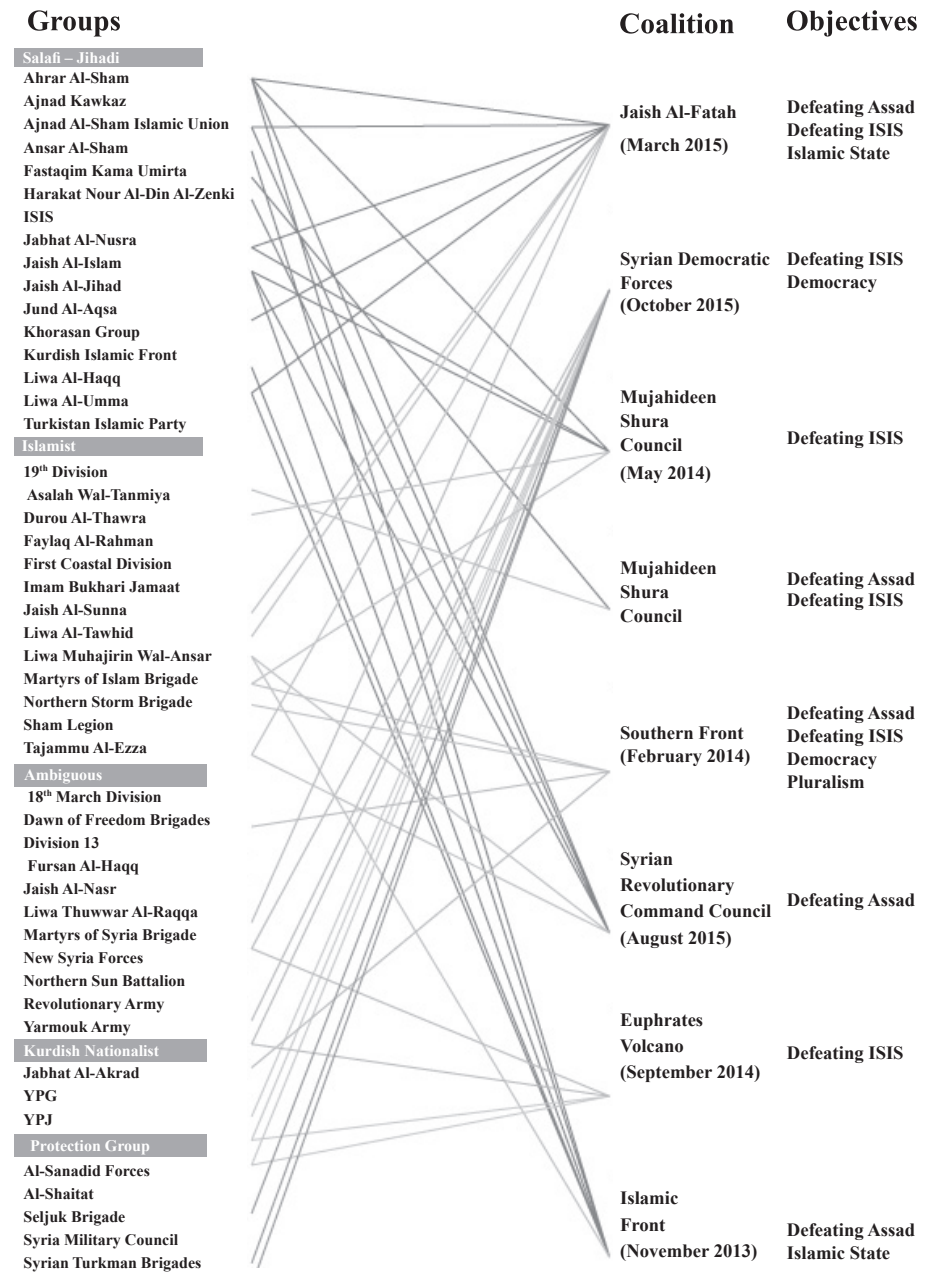

(شكل ٣-١)

تداخل الأيديولوجيات بين تحالفات المعارضة.

٤- التراخي العالمي يؤدي إلى ازدياد التطرف

لا تزال الجماعات الثماني والأربعون التي درسناها ناشطة في النزاع السوري، على الرغم من أن تاريخ نشأتها يتراوح بين بداية الثورة في ٢٠١١ وحتى خريف ٢٠١٥. تكونت معظم جماعات السلفية الجهادية الفاعلة ما بين ٢٠١١ و٢٠١٢؛ وأطلق سراح العديد من قادتهم من السجون بعفوٍ عام ٢٠١١.

يتناقض صعود الجهاد في الحرب الأهلية السورية بشكل مثير للاهتمام مع ليبيا؛ حيث وضع العمل الدولي حدًّا للثورة، ولكن الفشل في الوصول بالبلاد إلى الاستقرار ترك فضاء للجماعات المتطرفة لتنمو فيه. أما في سوريا، برزت الجماعات المتطرفة في الحرب الأهلية منذ البداية. وأعقب سقوط العقيد معمر القذافي في ليبيا نوفمبر ٢٠١١ زيادة جماعات المعارضة في سوريا؛ حيث رأت في ذلك إشارة إلى أن الثورة قد تنتصر. وعلى ذلك، يشير التزايد المتسارع في عدد الجماعات السلفية الجهادية إلى أنه باستمرار الحرب تسبب التحزب (الذي تقوده الحركة نحو النقاء الأيديولوجي) في انقسام الجماعات وتضاعف عددها.

تباطأت وتيرة التحزب بدخول داعش الحرب في سوريا في إبريل ٢٠١٣. وفي مواجهة استيلائها على الأرض من الجماعات الأخرى، بما فيها أقرانها في الأيديولوجية مثل جبهة النصرة وأحرار الشام، اتحدت القوات المتناحرة وكونت تحالف الجبهة الإسلامية السلفية الجهادية. ولكن قد يكون أحد التطورات المثيرة للاهتمام أن نظام الأسد قتل المئات في هجوم بالسلاح الكيماوي في أغسطس ٢٠١٣. ومع غياب التدخل الدولي بعد الهجوم على الغوطة، تكونت ستة تحالفات خلال عامٍ واحد ولا زالت فاعلة في النزاع حتى اليوم، وهو ما يشير إلى أنه في مقابل غياب دعم عالمي معتبر، توحدت جماعات المعارضة لتعزيز جبهتهم في مواجهة النظام.وفي الوقت نفسه، كلما طالت الحرب بدون أي تدخل دولي شامل لدعم هدف المعارضة الأهم- هزيمة الأسد، زاد خطر وقوع سوريا تحت سيطرة الجماعات التي تتشارك مع داعش في نفس الأيديولوجية. ويمكننا بالفعل أن نرى ذلك في سقوط مدينة إدلب في يد تحالف جيش الفاتح في مارس ٢٠١٥، وهو تحالف تسيطر عليه السلفية الجهادية التي تسعى لإقامة دولة إسلامية. وتعد إدلب العاصمة الإقليمية الثانية التي تقع بالكامل تحت سيطرة جماعات المعارضة، بعد استيلاء داعش على الرقة.

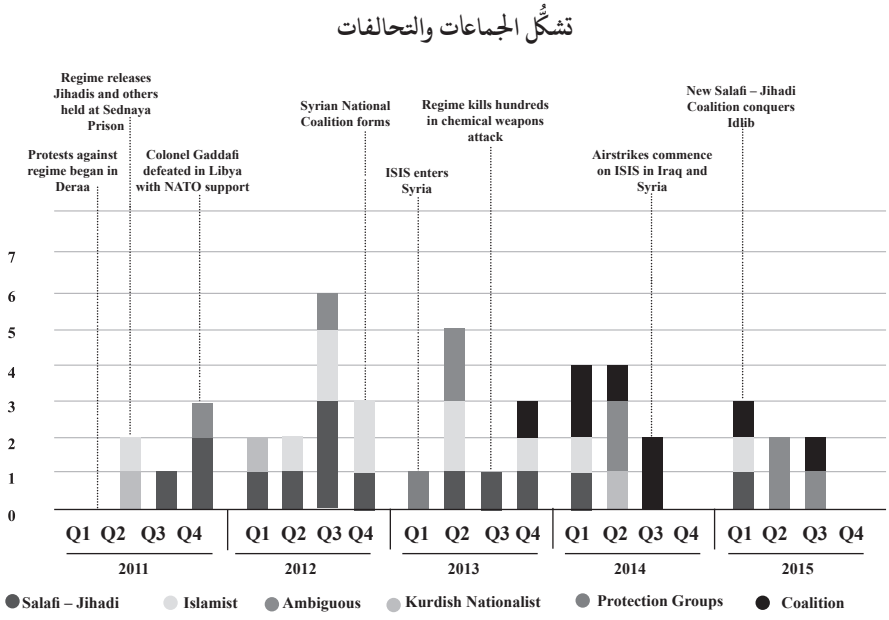

شكل (٤-١)

الجماعات والتحالفات التي تكونت منذ بداية الصراع السوري وفقًا للأيديولوجية (باستثناء أجناد قوقاز والحزب الإسلامي التركستاني).

Coalition	Formation Date
Islamic Front	November 2013
Mujahideen Army	January 2014
Southern Front	February 2014
Mujahideen Shura Council	May 2014
Syrian Revolutionary Command Council	August 2014
Euphrates Volcano	September 2014

(جدول ٤-١)

ملف جماعة أحرار الشام

- جماعة طائفية مرتبطة بالممارسات الوحشية ضد العلويين والشيعة.
- جماعة دولية ذات أهداف معلنة تتمثل في «أن ندمر بأيدينا جدران سايكس بيكو»[١١].
- تتضمن أهدافها المعلنة «الإسقاط الكامل لنظام الأسد في سوريا، وإقامة دولة إسلامية تدين بالسيادة والمرجعية والحكم والتوجه لشريعة الله عز وجل».
- تتضمن مقاتلين أجانب بين أعضائها، بما في ذلك مقاتلين من الغرب[١٢].
- على علاقة وثيقة بتنظيم القاعدة من خلال كبار الأعضاء السابقين (من بينهم أبو خالد السوري؛ أحد المجاهدين القدامى وقُتِل على يد داعش عام ٢٠١٤) ممن كانوا على مقربة من قيادة تنظيم القاعدة.
- أعدمت كل من خالف تأويلها للشريعة الإسلامية في الإقليم الذي تسيطر عليه، كما قطعت رءوسًا من أسرتهم من المعارضين.

ملف جماعة جبهة النصرة

- جناح تنظيم القاعدة في سوريا، وجددت ولاءها لقائد التنظيم أيمن الظواهري في ديسمبر ٢٠١٥ [١٣].
- نجحت في أن تندمج في تحالفات واسعة لقتال الأسد جنبًا إلى جنب مع عددٍ من الفصائل، منها الجيش السوري الحر، في معركة إدلب.
- دمرت الفرقة ٣٠ التي دربتها الولايات المتحدة لمناهضة داعش فور عودتها إلى سوريا، واستعرضت الأسلحة الأمريكية التي استولت عليها[١٤].
- يُعتقد أنها تضم ثاني أكبر تجمع للمقاتلين الأجانب في سوريا.
- صرح أبو فارس السوري؛ المتحدث الرسمي باسم جبهة النصرة، في أغسطس ٢٠١٥ أن « تقتصر معركتنا على سوريا، أما أهدافنا فلا»[١٥].

(١١) Nafeez Ahmed, "Ahrar al-Sham's Apocalyptic Vision for Syria and Beyond", *Middle East Eye*, http://www.middleeasteye.net/columns/ahrar-al-sham-s-apocalyptic-vision-syria-and-beyond-455405201.

(١٢) Richard Barrett, *Foreign Fighters: In Syria* (New York: The Soufan Group, 2014), online e-book, http://soufangroup.com/wp-content/uploads/2014/06/TSG-Foreign-Fighters-in-Syria.pdf.

(١٣) Thomas Joscelyn, "Al Nusrah Front Leader Refuses to Break with al Qaeda", *FDD's Long War Journal,* http://www.longwarjournal.org/archives/2015/12/al-nusrah-front-leader-refuses-to-break-with-al-qaeda. php.

(١٤) Nabih Bulos, "US-Trained Division 30 Rebels Betray US and Hand Weapons Over to Al-Qaeda's Affiliate in Syria", *The Telegraph*, http://www.telegraph.co.uk/news/worldnews/middleeast/syria/11882195/US-trained-Division-30-rebels-betrayed-US-and-hand-weapons-over-to-al-Qaedas-affiliate-in-Syria.html.

(١٥) Charles Lister, "Al-Qa`ida Plays a Long Game in Syria", *Combating Terrorism Center at West Point*, https://www.ctc.usma.edu/posts/al-qaida-plays-a-long-game-in-syria.

٥- إذا هزمنا داعش، تقف ١٥ جماعة في طابور الانتظار

ينتظم في صفوف جماعات السلفية الجهادية الستة عشر في الحرب الأهلية السورية ما يقارب ٩٦ ألف مقاتل. ووفقًا لتقديرات وكالة الاستخبارات الأمريكية [عام ٢٠١٤]، تُمثِّل داعش ٣١ ألف مقاتل فقط من هذا العدد(١٦). وقد أظهرت دراسة صدرت من مركز الدين والجغرافيا السياسي(١٧) الأيديولوجية التي تعتمدها جماعات السلفية الجهادية؛ فداعش ليست أكثر تطرفًا من القاعدة أو أحرار الشام أو غيرها من الجماعات التي تعتمد الأيديولوجية نفسها. قد تختلف أهدافهم على المدى القصير، ولكن في التحليل الأخير، تُشكِّل كل هذه الجماعات تهديدًا للغرب في حال انفرادها بالعمليات دون منازع. في حالة هزيمة داعش، هناك على الأقل ٦٥ ألف مقاتل ينتمون إلى جماعات السلفية الجهادية الأخرى على استعداد لأن يحلوا محلها. أربع من هذه الجماعات كبيرة بالقدر الكافي للاستيلاء على أحد الأقاليم وإقامة دولتهم الإسلامية الفاضلة؛ أحرار الشام (١٥ ألف مقاتل)، وجبهة النصرة (١٠ آلاف مقاتل)، وجيش الإسلام (١٧ ألف مقاتل)، ولواء الأمة (٦ آلاف مقاتل)، وهو ما مجموعه (٤٨ ألف مسلحٍ)، وقد أعربوا أيضًا عن نواياهم للانضمام في تحالف. في هذه الدراسة فقط تشارك ١٥ جماعة سلفية جهادية الأيديولوجية الوحشية نفسها لداعش، بالرغم من أن بعضهم يعارضها، وستستفيد من هزيمتها. وترتبط ثمانٍ من هذه الجماعات بالتزامات صريحة مع الجهاديين الدوليين، مما يجعلهم الأقرب لدعم الهجمات على الغرب.

تسيطر هذه الجماعات الجهادية الثماني وحدها على ما يربو على ٣٠ ألف مسلح يضمون مقاتلين أجانب انظر (الجدول ٥-١). وقد صرح أبو محمد الجولاني؛ زعيم جبهة النصرة، أن ٣٠٪ من قواته قوامها من المقاتلين الأجانب. إذا عكس هؤلاء المقاتلون نسب المقاتلين الأجانب في النزاع الأوسع(١٨)، فإن هذا سيشير إلى أن الجماعة الواحدة تضم أكثر من ٧٠ مواطنًا بريطانيًّا.

(١٦) Islamic State Fighter Estimate Triples - CIA", *BBC News*, http://www.bbc.co.uk/news/world-middle-east-29169914.

(١٧) Emman El-Badawy, Milo Comerford and Peter Welby, "Inside the Jihadi Mind: Understanding Ideology and Propaganda", Centre on Religion & Geopolitics, http://tonyblairfaithfoundation.org/religion-geopolitics/reports-analysis/report/inside-jihadi-mind.

(١٨) *Foreign Fighters: An Updated Assessment of the Flow of Foreign Fighters into Syria and Iraq* (New York: The Soufan Group, 2015), online e-book, http://soufangroup.com/wp-content/uploads/2015/12/TSG_ForeignFightersUpdate4.

2011	
Q2	YPG
Q2	Northern Storm Brigade
Q3	Jaish Al-Islam
Q4	Ahrar Al-Sham
Q4	Martyrs of the Syria Brigades
Q4	Harakat Nour Al-Din Zenki

2012	
Q1	Jabhat Al-Nusra
Q1	YPJ
Q2	Liwa Muhajirin Wal-Ansar
Q2	Liwa Al-Umma
Q3	Khorasan Group
Q3	Durou Al-Thawra
Q3	Liwa Al-Tawhid
Q3	Ansar Al-Sham
Q3	Liwa Al-Haqq
Q3	Liwa Thuwwar Al-Reqqa
Q4	Martyrs of Islam Brigade
Q4	Asala Wal-Tanmiya
Q4	Fastaqim Kama Umirta

2013	
Q1	Syrian Military Council
Q2	19th Division
Q2	ISIS
Q2	18th March Division
Q2	Imam Bukhari Jamaat
Q2	Division 13
Q3	Kurdish Islamic Front
Q4	Faylaq Al-Rahman
Q4	Ajnad Al-Sham Islamic Union
Q4	Islamic Front

2014	
Q1	Sham Legion
Q1	Jund Al-Aqsa
Q1	Mujahideen Army
Q1	Southern Front
Q2	Dawn of Freedom Brigades
Q2	Northern Sun Battalion
Q2	Jabhat Al-Akrad
Q2	Mujahideen Shura Council
Q3	Syrian Revolutionary Command
Q3	Euphrates Volcano

2015	
Q1	Jaish Al-Sunna
Q1	Jaish Al-Jihad
Q1	Jaish Al-Fatah
Q2	Revolutionary Army
Q2	New Syrian Forces
Q2	Jaish Al-Ansar
Q3	Syrian Democratic Forces

(جدول ٥-١)

الجماعات والتحالفات التي تشكلت منذ بداية الحرب في سوريا، موزعة وفقًا للأيديولوجية (باستثناء أجناد القوقاز والحزب الإسلامي التركستاني).

Groups	Fighters
Ahrar Al-Sham	15,000
Ajnad Kawkaz	50
Ajnad Al-Sham Islamic Union	3,000
Jabhat Al-Nusra	10,000
Jaish Al-Islam	400
Jund Al-Aqsa	1,000
Turkistan Islamic Party	1,000
Khorasan Group	50

(جدول ٥-٢)

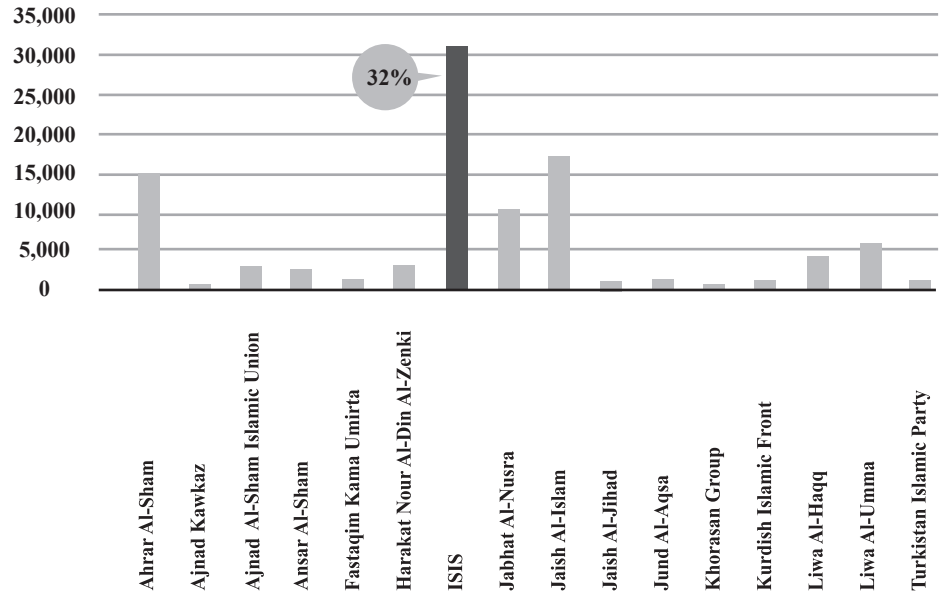

(شكل ٥-١)

توزيع جماعات السلفية الجهادية وفقًا لعدد المقاتلين الأجانب في سوريا.

خاتمة

تُظهِر هذه الأرقام - والتي تُمثِّل فقط مجموعة من الجماعات الفاعلة في الحرب الأهلية السورية- أهمية المقاربة الكلية للصراع. فالغالبية العظمى من الجماعات المسلحة في الحرب الأهلية، بصرف النظر عن انتماءاتها الأيديولوجية، تأمل في الإطاحة بالأسد. وما لم يذهب الأسد، فإن أيَّ اتفاق للسلام محتوم بالفشل.

ومع ذلك، بدون دعم إقليمي لتهدئة الدولة، فإن هزيمة الأسد وحدها لن تنهي الصراع، وستترك الوضع معرضًا لسيطرة القوات المتطرفة. والمحاولات الدولية لتقسيم الثوار إلى معتدلين ومتطرفين محكوم عليها بالفشل؛ لأن الثوار أنفسهم نادرًا ما يجدون سبيلاً للتمييز. وبينما تطبق بعض الجماعات اختبارات نقاء الأيديولوجية لحلفائها، يُعتبر البعض الآخر أكثر عملية، وعلى استعداد للعمل مع أي جماعة تدعم أهدافهم. وبهيمنة الجماعات الإسلامية والسلفية الجهادية على النزاع، يكون الأكثر احتمالاً أن تأتي أي تسوية نهائية للنزاع بمسحة إسلامية.

ومع ذلك، تُمثِّل الجماعات التي تشارك داعش نفس الأيديولوجية، ولكن يتم تجاهلها في المعركة لهزيمة هذا التنظيم، الخطر الأعظم على المجتمع الدولي. وفي حين أن الجهود العسكرية ضرورية لمواجهة داعش، على صناع السياسة أن يدركوا أن هزيمتها لن تنهي تهديد السلفية الجهادية ما لم يصحبها دحر فكري وعقائدي للأيديولوجية الخبيثة التي تدفعها.

ملحق

السلفية الجهادية

أيديولوجية دينية – سياسية عابرة للقومية تقوم على القراءة الحرفية للنصوص الدينية والاعتقاد في الجهاد العنيف لفرض العودة إلى فهم الإسلام المتُصوَّر عند أوائل التابعين للنبي محمد.

الإسلاموية

أيديولوجية دينية – سياسية حديثة تتطلب هيمنة تأويل معين للإسلام كقانون للدولة.

أيديولوجية غير واضحة

جماعات المعارضة التي لا تتبنى أي أهداف أيديولوجية واضحة ومعلنة.

جماعات الحماية

جماعات قبلية وعرقية ودينية تعطي الأولوية للتركيز على حماية مجتمعاتها.

القوميون الأكراد

الجماعات التي تشدد على الهوية القومية الكردية القائمة على الخصائص العرقية والثقافية المشتركة.

المنهجية

تُمثِّل البيانات الواردة في هذا التقرير مقطعًا عرضيًّا من ٤٨ جماعة فاعلة في الثورة السورية. انتقى محللو مركز الدين والجغرافيا السياسية هذه الجماعات من عينة تضمنت ٩٠ من الجماعات الفاعلة، تضمنت القوى الموالية للنظام، لكنها لا تُمثِّل التحليل الشامل لكل الجماعات الفاعلة في الصراع. اختيرت الجماعات على أساس ثقلها وأهميتها (بمعايير مصالح وسائل الإعلام والحكومات) أو حجمها.

جاء تقديرنا للأيديولوجية والأهداف كل جماعة على أساس التصريحات الرسمية، وبيانات كبار أعضائها، والتقديرات الحكومية والاستخباراتية، والتقارير مفتوحة المصدر.

وقد تم حساب عدد الأعضاء بهذه الجماعات وفقًا لآخر التقديرات الاستخباراتية العامة المتاحة كلما أمكن. وفي حال تعذر ذلك، استنتج المحللون تقديرًا معقولاً بناءً على التقارير العامة وتصريحات أعضاء الجماعة.

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية